

## مقصد حفظ العقل في الصراع العربي الصهيوني

### التوطئة:

مفهوم العقل الواعي يشكل أهمية بارزة في فهم مقتضيات القضية الفلسطينية وطبيعة الصراع العربي الصهيوني، إذ به يمكننا استدراك أهم معالم هذا الصراع، والمؤامرات الدولية التي تحاك ضد المسلمين في فلسطين المحتلة، والمخططات التي يسعى الصهاينة لفرضها على المنطقة العربية والإسلامية. ولقد حاول الصهاينة قدر الإمكان العمل على تعطيل العقل العربي والمسلم عن التفكير في كيفية القضاء عليهم أو حتى مواجهتهم من خلال مسكنات فكرية وسياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية، وكلما حاول هذا العقل التزول إلى ساحات المعركة، أشغله بمعارك جانبية وهامشية ليتعد عن لب الصراع وأساسه. وفضلاً على هذا كله، فرضوا عليه حلولاً وطروحات مثل "السلام الزائف"، أو "التطبيع" أو "فكرة الشرق الأوسط الكبير"، بحجج واهية انطلت على بعض المفكرين العرب والمسلمين، وجعلوا المشكلة في المقاومة ومشروع الجهاد، وأن الاحتلال والمجازر التي يرتكبها العدو ضد المسلمين في فلسطين، هي أعمال للدفاع عن النفس وللحفاظ على الأمن واستقرار المنطقة. في دراستنا هذه، سنحاول قدر الإمكان بيان أهمية دراسة العقل كمقصد شرعي أصولي، بُحث سابقاً في مباحث مقاصد الشريعة، وكيفية حفظه وجوداً وعدماء، مع بيان تطبيق هذه الدراسة على أهم صور الصراع العربي الصهيوني، وهو الاختلاف القائم بين المنهج الإسلامي الداعي لأجندة الجهاد والمقاومة كطريق شرعي منطقي لطرده المحتل الصهيوني، في حين يرى غيرهم - وعلى الأخص العلمانيون أو اليساريون - بأن الصراع سياسي.

هذه الدراسة ستبين أهم الفوارق بين هذين المنهجين، مع بيان بعض صور الصراع العقلي التي وقعت وقد تقع بين المسلمين والصهاينة في هذه المعركة طويلة الأمد، ثم نوضح أهم المقاصد الأصيلة التي يمكن الاعتماد عليها للحفاظ على مقصد العقل، لذا ستكون مباحث هذه الدراسة كالتالي:

المبحث الأول : مقصد حفظ العقل عند علماء الشريعة والأصول

المبحث الثاني : توصيف أهم صور الصراع العقلي بين العرب والصهاينة

المبحث الثالث : مقاصد أصيلة في حفظ ضروري العقل

## المبحث الأول: مقصد حفظ العقل عند علماء الشريعة والأصول

### العقل في اللغة

يطلق العَقْلُ في اللغة بمعنى: "الحِجْرُ والنهي، يقال: رجلٌ عاقلٌ وعَقُولٌ، وَعَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا وَمَعْقُولًا أيضًا. وهو مصدرٌ، وقال سيبويه: هو صفةٌ، والعَقْلُ: الملحأ، والجمع العُقُولُ. قال أحيحة:

وقد أعددت للحَدَثَانِ صَعْبًا      لو أن المرءَ تنفعهُ العُقُولُ

والعَقُولُ: الدواء الذي يمسك البطن، قال الأصمعي: عَقَلْتُ البعيرَ أَعَقَلْتُهُ عَقْلًا، وهو أن تثني وظيفه مع ذراعه فتشدهما جميعاً في وسط الذراع، وذلك الحبل هو العِقَالُ، والجمع عُقْلٌ. وَعَقَلَ الوَعْلُ، أي امتنع في الجبل العالي، يَعْقِلُ عُقُولًا، وبه سُمِّي الوعل عاقِلًا. وَعَقَلَ الدواءُ بطنه، أي أمسكه. وَعَقَلَ الظلُّ، أي قام قائم الظهيرة. وَعَقَلَتِ المرأةُ شعرها: مَشَطَتْه. والعاقلةُ: الماشطةُ. وأَعَقَلَ القومُ، إذا عَقَلَ بهم الظلُّ، أي لجأ وقلص، عند انتصاف النهار. وَعَقَلْتُ الإبلَ، من العِقَالِ، شددت للكثرة. وَتَعَقَلَ: تكلفَ العقلُ<sup>١</sup>.

وقيل العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾، سورة العنكبوت، ٤٣، وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول، نحو: ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ﴾، سورة البقرة، ١٧١.

وقيل أن أصل العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها، وعقل لسانه: كفه، ومنه قيل: للحصن: معقل، وجمعه معاقل<sup>٢</sup>.

وعَقَلَ الشيءَ عَقْلًا فِهْمُهُ وتَدَبَّرُهُ، والعاقِل اسم فاعل جمعه عُقَالٌ وَعُقَلَاءُ، والعاقلة قوة العقل كما أن الذاكرة قوة الذكر، العَقْلُ مصدر والحِجْرُ والنُّهْيُ وهو ضدُّ الحمق والجهل، وقيل العقل جوهرٌ روحانيٌّ خلقه الله تعالى متعلقًا ببدن الإنسان، وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل، ونقل ابن منظور أيضًا أن "العقل ما يعقل به حقائق الأشياء، وقال بعض الحكماء إذا عَقَلَك عقلك عمًا

<sup>١</sup> بتصرف من الجوهري، الصحاح في اللغة و صحاح العربية، مادة عقل، ١٧٦٩/٥.

<sup>٢</sup> الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٧٧.

لا ينبغي فأنت عاقل، والتعقل عند الحكماء قسم من الإدراك، وهو إدراك الشيء مجرداً عن اللواحق المادية، وقد يطلق على الإدراك مطلقاً<sup>٣</sup>.

### العقل في النصوص الدينية

وقد استخدم العقل في القرآن الكريم للدلالة على الصفة التي يمتاز بها الإنسان عن غيره من الخلق، وهو مناط التكليف والحساب، ولهذا كان من الخطاب القرآني الموجه للإنسان أن يُذكر دائماً بأصل التنفيل على الخلق، كقوله تعالى ﴿قَدْ بَيْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة آل عمران، ١١٨، ويكفي أن عبارة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وردت أكثر من أربع عشرة مرة<sup>٤</sup>.

والعقل في ديننا له من التكريم والتبجيل ما يجعله يتربع على عرش التكريم الذي أعطاه الله عز وجل للإنسان، وسمى العلم المستفاد منه روحاً ووحياً وحياتاً، فقال الله سبحانه وتعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ سورة الشورى، ٥٢، وقال سبحانه ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتاً فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ سورة الأنعام، ١٢٢، وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ سورة البقرة، ٢٥٧<sup>٥</sup>.

والأحاديث التي وردت في فضل العقل وشرفه عديدة تبلغ العشرات، تشير بحملها إلى أن العقل منحة وهبة ساقها الله عز وجل للإنسان، وبها فضله على سائر الخلق والأحياء. ومنها، ما قاله صلى الله عليه وسلم: "أول ما خلق الله العقل، فقال له أقبل، فأقبل ثم قال له: أدير فأدير، ثم قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أئيب، وبك أعاقب"<sup>٦</sup>. وعن عمر بن الخطاب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى"<sup>٧</sup>.

وما روي عنه صلى الله عليه وسلم: "رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة، ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة، ونصف العلم حسن

<sup>٣</sup> ابن منظور، لسان العرب، [مادة عقل].

<sup>٤</sup> نقلاً عن: ناصر العقل، الانتقاهات العقلانية الحديثة، (الرياض: دار الفضية، ط ١، ٢٠٠١)، ص ٢٨.

<sup>٥</sup> انظر بتوسع: الغزالي، إحياء علوم الدين، في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٦)، ٧٣/١. شعب الإيمان، باب في تعدد نعم الله.

<sup>٦</sup> شعب الإيمان، [٣٣] من شعب الإيمان، فصل في فضل العقل الذي هو من النعم العظام التي كرم بها عباده.

المسئلة، والاقتصاد في المعيشة نصف العيش تكفي نصف النفقة، وركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط<sup>٨</sup>، وما تم دين المسلم قط حتى يتم عقله، والدعاء يرد الأمر، وصدقة السر تطفيء غضب الرب، وصدقة العلانية تقي مية سوء، وصنائع المعروف إلى الناس تقي صاحبها مصارع سوء، الآفات والمهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة والمعروف ينقطع فيما بين الناس، ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افعله<sup>٩</sup>.

### العقل في الاصطلاح الشرعي

كما يطلق العقل في استعمالات علماء الشريعة بالعموم على العلم، وضد الحجر والثنية والحمق، وعلى حد توصيف اللغويين هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصاتها. فالعقل هو الذي يمنع صاحبه من الابتعاد عن الطريق القويم أو الوقوع في شر أعمال نفسه، يقول الإمام علي بن أبي طالب ٤٠هـ: "العقل عقلان: مطبوع ومسموع، فلا ينفع مطبوع إذا لم يكن مسموعاً، كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع"<sup>١٠</sup>.

أما حقيقة العقل، فقد ذكر الحارث بن أسد المحاسبي "إنه غريزة يتبهاً بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب به، يستعد لإدراك الأشياء"<sup>١١</sup>، ويقول أبو حيان التوحيدي بأنه "منظومة التجارب الإنسانية، وكلما كانت تجارب العقل أكثر، كانت النفس أتمّ عقلاً"<sup>١٢</sup>، وبه يستدل على أن العقل هو الفاعلية والنشاط التي يقوم بها الإنسان العاقل بوعي وتدبر وحكمة.

لقد فضل الله الإنسان بالعقل على غيره من المخلوقات والأحياء، وهذا ما جعله خليفة في الأرض، وكلفه بالرسالة ليعمر الأرض ويقيم العدل، وقد جعل العلماء العقل من المقاصد الشرعية في الإسلام، والعقل له "قوة في نفس الإنسان يستطيع عن طريقها إدراك العلوم، وتحصيل المعارف"<sup>١٣</sup>.

<sup>٨</sup> الخلط: هو الجمع بين أجزاء الشيين فصاعداً، سواء كانا مائتين، أو جامدين، أو أحدهما مانعا والآخر جامداً، وهو أعم من المرح، ويقال اختلط الشيء، نقلاً عن الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة "خلط".

<sup>٩</sup> شعب الإيمان، [٥٧] من شعب الإيمان، فضل في طلاقة الوجه وحسن البشر لمن بلغاه من المسلمين.

<sup>١٠</sup> الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٧٧.

<sup>١١</sup> نقلاً عن: الغزالي، إحياء علوم الدين، في العقل وشرقه وحقيقته وأقسامه، ٧٥/١.

<sup>١٢</sup> نقلاً عن: مجموعة من الباحثين، مكانة العقل في الفكر العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ١٩٩٨)، ص ٨٤.

<sup>١٣</sup> يوسف العام، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص ٣٢٨.

وعلى حد توصيف الإمام الغزالي ٥٠٥هـ فالعقل: "آلة الفهم، وحامل الأمانة، ومحل الخطاب والتكليف، وملاك أمور الدين والدنيا، وبأنه أشرف صفات الإنسان"<sup>١٤</sup>.

واستعمالات العقل في التراث العربي والإسلامي غالباً ما تشير إلى عكس كل من "العاطفة"، و"السلطة"، و"الأسطورة"، وهو الذي استطاع أن يتواصل ويتطور حضارة عربية وإسلامية استمرت لأكثر من عشرة قرون، ولم يكن ضيراً أن يقوم علماء الأصول بجعل العقل والنقل على مرتبة واحدة من الاستدلال الشرعي، وأن لا نقل بدون عقل يعي، وأن لا عقل بدون تبعية للنقل الفاطح.

### تحديد بعض المصطلحات ذات الصلة

درج بعض علماء الشريعة واللغة على تحديد بعض المصطلحات المتلازمة والمتقاربة في معناها، ولعل ما يمكن تفسيره هنا مصطلحي النفس والقلب من حيث اللغوية<sup>١٥</sup>:

١) النفس: النون والفاء والسين أصلٌ واحد يدلُّ على خُروج التَّسِيمِ كيف كان، من ریح أو غيرها، وإليه يرجعُ فروعه، ويقال للعين نَفْسٌ. وأصابَتْ فلاناً نَفْسٌ. والنَّفْس: الدَّم، وهو صحيح، وذلك أنَّه إذا فُقدَ الدَّمُ من بَدَنِ الإنسان فَقَدَ نَفْسَهُ، وتعني الروح كما في قوله تعالى ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ سورة الأنعام، ٩٣.

٢) القلب: القاف واللام والياء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على خالص شيءٍ وشريفه، والآخرُ على ردِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة. فالأوَّلُ القَلْبُ: قلب الإنسان وغيره، سُمِّيَ لأنَّه أخلصُ شيءٍ فيه وأرفعُه. وخالصُ كلِّ شيءٍ وأشرفُه قَلْبُهُ. ومنه قلب الشيء: تصريفه وصرفه عن وجهٍ إلى وجه، كقلب الثوب، وقلب الإنسان، أي: صرفه عن طريقته، قال تعالى ﴿وإليه تَقَلَّبُونَ﴾ سورة العنكبوت، ٢١، وقلب الإنسان قيل: سمي به لكثرة قلبه، ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك، وقوله ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ سورة الأحزاب، ١٠، أي: الأرواح. ومنه قوله ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ سورة الحج، ٤٦، قيل: العقل، وقيل: الروح. لكن الأدق من حيث الاصطلاحية أن استعمالات العقل قد أخرجت معانيه عن التلازم مع معاني القلب والنفس.

<sup>١٤</sup> نقلاً عن يوسف العام، المقاصد العامة، ص ٣٥٠.

<sup>١٥</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، في مادة [النفس، القلب].

## العقل في اصطلاح علماء الأصول

في علم أصول الفقه، مثل العقل الخيز الأكثر وجوداً في فهم نص الشارع الكريم، إلى جانب ضيق جداً من وجود النقل القطعي، وهذا ما جعل كتب الأصول والمقاصد تزدهر ازدهاراً كبيراً في تأطير وتبويب أبواب الاجتهاد وعقلية المجتهد. فعلى نطاق الأدلة الشرعية النقلية، هناك فقط دليان متفق عليهما إجماعاً، هما " الكتاب والسنة"، في حين أن باقي الأدلة الشرعية مثل الإجماع والقياس والمصالح المرسله وسد الذريعة والاستحسان والعرف وغيرها هي أدلة قائمة بالجمل على العقل واجتهاداته، مما جعل دائرة الاختلاف تتسع في هذه الأدلة، وتنحصر في دليلي الكتاب والسنة. وقد اتفق علم أصول الفقه مع غيره من العلوم الشرعية والمنطقية بأن العقل له مناهج يمكن الوصول بها إلى درك الحقائق والعلوم، فهناك في علم أصول الفقه ما يُعرف بالقياس والاستدلال بالشاهد على الغائب والسير والتقسيم، والطرده والعكس.

ولقد أثار إشكالية العقل والنقل بين المذاهب الفقهية والفرق العقائدية والأحزاب السياسية وطرق الفلاسفة في تاريخنا الإسلامي صدى ما زال أثره إلى يومنا هذا، ولن ينتهي حتى تقوم الساعة، إذ أن يجمع العقل والنقل معاً، تأييداً أو معارضةً، هو بذاته إشكال واقع في البشرية منذ أن خلقت، بيد أنها قد أخذت إطاراً أوسع في الفكر الإسلامي.

كما يقول الشاطبي ٧٩٠هـ: " المقدمة العاشرة إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية، فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعاً، ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرح النقل"<sup>١٦</sup>. وتواصل أصولياً، إذ اعتبر أن " يتقدم النقل متبوعاً، ويتأخر العقل تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرح النقل"<sup>١٧</sup>.

وهناك منهج عقلي منطقي رصين، أخذ به علماء الإسلام وغيرهم كالمناطق والفلاسفة، وهو منهج الاستقراء، وهو: " تصفح أمور جزئية ليحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات"، ثم قسموه إلى قطعي وظني: فالقطعي ما كان تاماً، وهو: " إثبات الحكم في جزئي لثبوته في الكل على الاستقراء، وهذا هو القياس المنطقي المستعمل في العقليات وهو حجة بلا خلاف"<sup>١٨</sup>.

<sup>١٦</sup> الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ٨٧/١، قارن عن نظرة ابن تيمية لإشكالية العقل والنقل، علاء الدين رحال، معالم وضوابط الاجتهاد عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٣٠٧.

<sup>١٧</sup> الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ٨٧/١، محدي عاشور، الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي، (دي: دار البحوث للدراسات الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٢)، ص ٣٧٨.

<sup>١٨</sup> انظر: الأركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير: مجموعة من العلماء، (الكويت: وزارة الأوقاف، ط ٢، ١٩٩٢م)، ١٠/٦، الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ٢٤/١، ٢٤٢/٤، كذلك انظر:

**Theories of Islamic Law, Imran Ahsan Nyazee, (Pakistan: International Institute of Islamic Thought, first edition, ١٩٩٤). P. ٢٢٥.**

والظني غير التام، وهو: إثبات الحكم في كلي لثبوته في أكثر جزئياته من غير احتياج إلى جامع وهو المسمى في اصطلاح الفقهاء بـ "الأعم الأغلب"، والأخير لا يفيد القطع بل يصلح للفتايات والظنيات.

ونحن حين نتناول دراسة المناهج المعتبرة وغير المعتبرة، نقوم بذلك بناء على غلبة الظن على توفر المصالح في هذه المناهج أكثر من غيرها، أو قلة المفاصد فيها عن غيرها، وهذا هو السلوك المعتمد أصولياً، تقوم المناهج والأدوات بناءً على توفر المصلحة وندرة المفسدة، كما يقول ابن عبد السلام ٦٦٠هـ: "الاعتماد في جلب معظم مصالح الدارين، ودرء مفاصدهما بيني في الأغلب على ما يظهر في الظنون"، ولأن "معظم مصالح الدنيا ومفاصدها معروفة بالعقل"<sup>١٩</sup>.

ولعل الشاطبي من الأصوليين القلائل الذين وظفوا منهج الاستقراء في تحصيل القطع من الظنيات، يقول في فائدة الاستقراء: "...ومر أيضاً بيان كيفية اقتناص القطع من الظنيات، وهي خاصة هذا الكتاب لمن تأمله، والحمد لله"<sup>٢٠</sup>.

وأفضل استخدام طبقه الشاطبي للاستقراء كان في تحصيل المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، وهذا لب نظريته الأصولية المسماة بالمقاصد الشرعية، ومنه يمكننا الاعتماد على فهم مقصد العقل، بل ومنه، يمكننا فهم المصالح والمفاصد وأثرها على قدرة المنهج على التواصل والكفاءة في ظل متغيرات تعصف بالفكر والأسس العقلية القائمة.

وهذه المناهج العقلية، لم تنحصر في العلوم الشرعية أو القانونية، بل تجاوزت ذلك إلى العلوم الاجتماعية الإنسانية، والتي تشمل علم السياسة وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وغيرها، وقد طبق ذلك عالم الاجتماع المشهور، العالم العربي ابن خلدون ٨٠٨هـ في كتابه المقدمة، الذي استخدم هذه المناهج العقلية، وأبرزها منهج الاستقراء في قراءة الظواهر الاجتماعية والتاريخية، واستدل على ذلك بقوانين الكلية والحتمية والسببية والضرورة وغيرها من القوانين، والذين جاءوا بعده من علماء اجتماعيين درسوا هذا المنهج على منوال ابن خلدون، فقالوا بالمنهج العلمي القائم على الملاحظة والاستدلال والتجربة، ومثله الإمام المقرئ ٨٤٥هـ صاحب كتاب الخطط، في دراسة المناهج العقلية وتطبيقها على علم الاقتصاد.

<sup>١٩</sup> ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ٦/١.

<sup>٢٠</sup> أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص ٣٠٩.

وأن الذي يريد أن يتفرغ للاجتهد في العلوم الشرعية، وأن يربط هذه العلوم بالواقع المعاش، وأن يتول أحكام الشريعة على تفصيلات الواقع وتشعباته، يلزمه النظر بعناية فائقة واهتمام بليغ في مقاصد الشريعة الإسلامية كما يقول علماء الأصول، أن فهم " مقاصد الشريعة على كمالها، شرط أول في بلوغ درجة الاجتهاد"<sup>٢١</sup>. أي يلزم المجتهد والقارئ لواقع المسلمين أن يجعل أصول الشريعة ومقاصدها موضع اهتمام، إذ بها يمكننا أن نخرج بحكم يزن ما بين الشرع والواقع من التباس وغموض، وهذا ما جعل ابن عاشور العالم المالكي ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م يقول أن المجتهد بحاجة ماسة إلى علم المقاصد في فهم الشريعة ومقتضياتها، إذ يرى بأن المجتهد ملزم بفهم المستجدات والوقائع بناء على قياس أصولها في الشريعة، ومعرفة عللها، وهذا على حد وصفه " الكفيل بدوام أحكام الشريعة الإسلامية للعصور والأجيال التي أتت بعد عصر الشارع"<sup>٢٢</sup>. من هنا، يتبين لنا أهمية قراءة مقصد العقل قراءة أصولية مقاصدية، تسعى إلى بيان أهم الطرق التي يمكننا التعامل بها ضد العدو الصهيوني. إذًا، فالمقصد العام للشريعة الإسلامية كما يقول علال الفاسي رحمه الله بـ "عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع"<sup>٢٣</sup>. وبناء على هذا المقصد العام، تكون مهمة عقل المكلف السير على هذا المنهاج، والتواصي بالحق والصبر، حتى يتم الاستحلاف كما أراده الله من عباده المكلفين. ولقد عالج الأصوليون إشكالية العقل ضمن سياق معالجة الضروريات الخمس، وكان للعقل مرتبة عالية ومتقدمة ما بين الضروريات ذاتها، فعلى الأغلب عند الأصوليين، يقع العقل في المرتبة الثالثة، بعد الدين والنفس، وقبل النسل والمال<sup>٢٤</sup>.

ولعلماء الشريعة مسلكان في حفظ مقصد العقل، أبرزها، مسلك المحافظة عليه من جانب الوجود، والمحافظة عليه من جانب عدمه، كما يقول الأصوليون: " وحفظ هذه الضروريات بأمرين، أحدهما ما يُقيم أصل وجودها، والثاني ما يدفع عنها الاختلال الذي يعرض"<sup>٢٥</sup>.

٢١ علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص ١٨١.

٢٢ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ١٨٤.

٢٣ علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص ٤٥.

٢٤ قارن مع: محدي عاشور، الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي، ص ٢٨٠.

٢٥ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٣٠٢.

### المسلك الأول: المحافظة عليه من جانب الوجود

هناك العديد من الوسائل الشرعية التي أوصى بها الشارع للحفاظ على هذا المقصد، منها على سبيل المثال لا الحصر، وسائل التعليم والتربية، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة، ومترتبة الاجتهاد وبلوغ مراتب العلماء من المنازل القيمة في الشريعة، بل قد يسبق التعليم والعلم العبادة والشعيرة، إذا أحسنت النية وكانت خالصة لوجهه الكريم، ورب عالم سبق ألف عابد، والنصوص في التعليم والتعلم تصل مرتبة القطع اليقيني في نصوص القرآن قطعي الثبوت والدلالة، فضلاً عن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، والتي بحملها تكون معضدة ومؤيدة لما جاء في القرآن من نصوص.

فالشريعة بحملها قائمة على الحث على العلم والتعلم، وهذا تصديق لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة الزمر، ٩، وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر، ٢٨، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع"<sup>٢٦</sup>، وقوله: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"<sup>٢٧</sup>، وغيرها من النصوص الشرعية.

وتأتي ضمن العلم والتعلم - في دراستنا هذه - أهمية معرفة الواقع السياسي للقضية الفلسطينية، من خلال التبحر في استراتيجيات العدو الصهيوني أو الحركة الصهيونية Zionist Movement سابقاً وأهدافه الآنية والمستقبلية، وهذا لا يتأتى إلا من خلال علماء وباحثين جمعوا ما بين علم السياسة وعلم الأصول والمقاصد، جمعوا ما بين علم السياسة والفراسة<sup>٢٨</sup> التي أعطاها الله لبعض عباده الصالحين، وهذا لا يكون إلا بالتعلم والمتابعة.

والفراسة (Insight) هي: " الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية، وقيل ما يقع في القلب بغير نظر وحجة"<sup>٢٩</sup>. يقول ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ: " ولم يزل حذاق الحكام والولاة يستخرجون

<sup>٢٦</sup> سنن الترمذي، العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما جاء في فضل الفقه على العبادة، كذلك انظر: سنن الفارمي، المقدمة، في فضل العلم والعلم.

<sup>٢٧</sup> سنن ابن ماجه، المقدمة، فضل العلماء والحث على طلب العلم.

<sup>٢٨</sup> الفراسة بكسر الفاء: هي النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به، يقال: إنه لفارس هذا الأمر: إذا كان عايناً به، الفراسة: الاسم من قولك: فرست فيه خيراً، وفرس فيه الشيء: توهمه، ويقال: خا - الفراسة - التوهم. قال ابن الأثير ٦٠٦هـ: يقال بمعنى: "أحدهما: ما دل ظاهر الحديث عليه، وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس. والثاني: نوع يُعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس". انظر سامي: معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٦)، مصطلح الفراسة، ص ٢٢٦.

<sup>٢٩</sup> الخدي، قواعد الفقه، (باكستان: لجنة النقاية والنشر، ط ١، ١٩٦٦م)، ص ٤٠٨، الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، راجع: عبد الرؤوف سعد، ( القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١٩٧٣م)، ص ٨٧.

الحقوق بالفراصة والأمارات فإذا ظهرت- الراهين والأدلة على صحة الفراسة- لم يقدموا عليها شهادة تخالفها ولا إقراراً<sup>٣٠</sup>، لكن إذا لم تكن هناك أدلة على صحة ورضانة الفراسة، فهذا ضرب من الظن والشك بغير دليل، كما يرى ذلك ابن العربي ٥٤٣هـ-<sup>٣١</sup>.

وذكر علماء السياسة الشرعية أنه لا بد للخليفة أو المسؤول عن أمور المسلمين وتصاريح حياتهم أن يكون عالماً بالفراصة، يقول الجويني ٤٧٨هـ: "فإن عظام الأمور لا يدرك معانيها لينقلها إلا فطن، لا يوتى من غفلة وذهول، ومن لم يكن فطناً لا يوثق بفهمه لما يُنهيه، ولم يؤمن بخطؤه فيما يبلغه ويؤديه"<sup>٣٢</sup>. قال الدهلوي ١١٧٦هـ: "ولا بد للملك من فراصة يتعرف مهما أضمرت نفوسهم، ويكون ألعياً يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع"<sup>٣٣</sup>، وكانت العرب تقول: "العقل التجارب، والحزم سوء الظن"<sup>٣٤</sup>.

#### المسلك الثاني: المحافظة عليه من جانب العدم

وإذا كنا نؤكد على ضرورة المحافظة على العقل في حال الوجود، فيلزمنا التأكيد حال الاعتداء عليه من أي ضرر قد يقع عليه، مثل السكر أو المخدرات أو أي مادة تؤدي إلى إلحاق الضرر به، ولذلك جعلت الشريعة الإسلامية عقوبة لمتناول الخمر، لأن فيه تعطيل لمقصد العقل، وسميت بناء على ذلك الخمر بـ"أم الخبائث"<sup>٣٥</sup>.

وسداً للذريعة، حُرِّم قليل الخمر، وإن كان لا يؤدي بمجمله للسكر أو التأثير على العقل، لقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْوَاجُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ سورة المائدة، ٩٠، ٩١،

<sup>٣٠</sup> ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد الفقي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط.ت)، ص ٢٤، كذلك انظر: الخصاص، أحكام القرآن، تحقيق: محمد قنحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥)، ١١١٩/٣، الموسوعة الفقهية، ٧٧/٣٢.

<sup>٣١</sup> نقلاً عن سامي الصلاحيات: معجم مصطلحات السياسة في تراث الفقهاء، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٦)، ص ٢٢٧.

<sup>٣٢</sup> الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١٥٥.

<sup>٣٣</sup> الدهلوي، حجة الله البالغة، تحقيق: السيد سابق، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط.ت)، ٩٠/١.

<sup>٣٤</sup> نقلاً عن: شعب الإيمان، باب في تعديد نعم الله.

<sup>٣٥</sup> سنن النسائي، كتاب الأشربة، باب ذكر الآثام المتولدة عن ضرب الخمر، مصنف عبد الرزاق، كتاب الأشربة، باب ما يقال في الشراب.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "كل شراب أسكر فهو حرام"<sup>٣٦</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: "كل مسكر حمر، وكل حمر حرام"<sup>٣٧</sup>، بل وصل به صلى الله عليه وسلم أن يلعن من اتصف بـ: "شارب الخمر، وساقبها، وبائعها، ومشتريها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه"<sup>٣٨</sup>، وغيرها من النصوص الشرعية المحرمة للخمر.

وهذه النصوص بمجملها تدعو إلى الابتعاد عن كل هذه المسكرات التي تدعو إلى ذهاب العقل وضياعه، لا سيما في عصرنا الحديث بالمخدرات، ومشتقاتها كالهروين والكوكايين.

وهذا ما قاله ابن عاشور في حفظ العقل: "حفظ عقول الناس من أن يدخل عليها خلل، لأن دخول الخلل على العقل مؤد إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف، فدخول الخلل على عقل الفرد مفض إلى فساد جزئي، ودخوله على عقول الجماعات وعموم الأمة أعظم، ولذلك يجب منع الشخص من السكر، ومنع الأمة من تفشي السكر بين أفرادها، وكذلك تفشي المفسدات مثل الحشيشة والأفيون والمورفين والكوكايين والهروين ونحوها"<sup>٣٩</sup>.

وهنا نرى بأهمية القراءة المقاصدية لحفظ مقصد العقل وجوداً وهدماً، وأثر ذلك في تحصيل المصلحة الشرعية من خلال التفريق ما بين المقاصد والوسائل.

إن للشارع الكريم مقاصد ذكرت في مواضعها وأمام نصوصها الشرعية، سواء أكانت هذه المقاصد أصيلة أو تبعية، والمقاصد الأصيلة تصير الطاعة أعظم، وإذا خولفت كانت معصيتها أعظم، على حد توصيف الشاطبي<sup>٤٠</sup>.

وهناك نوع من المقاصد الشرعية مما استقرئ من النصوص الشرعية إجمالاً، وعلى حد وصف ابن عاشور المالكي "فاستدلنا بذلك على أن كل ما لم ينص عليه مما ذلك، شأنه هو مقصود الشارع"<sup>٤١</sup>. وقد عبر البعض عن ذلك بالمصالح المرسلّة، وهي أن يرى "المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة، وليس في الشرع ما ينفيه"<sup>٤٢</sup>.

٣٦ صحیح البخاری، کتاب الأشربة، الحمر من العسل، كذلك فإن مع سنن أبي داود، كتاب الأشربة، النهي عن المسكر.

٣٧ صحیح مسلم، کتاب الأشربة، باب بیان أن كل مسكر حمر، سنن ابن ماجه، کتاب الأشربة، باب كل مسكر حرام.

٣٨ انظر توسع: سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب العيب بعصر للحمر، سنن الترمذي، كتاب البيوع عن رسول الله، باب النهي أن يتخذ الحمر خلا.

٣٩ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٣٦٠.

٤٠ الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ٢/٢٠٦، مجدي عاشور، الثابت والمتغير في فكر الإمام الشاطبي، ص ٢٩٧.

٤١ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ١٩٦.

٤٢ نقلاً عن: محمد ركاب، المصالح المرسلّة وأثرها في مرونة الفقه الإسلامي، (دي: دار البحوث للدراسات الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٢)، ص ١١١.

كما أن لزوم المنهج الشرعي في علم السياسة، يعني بالتدقيق حصول المصلحة والمنفعة من وراءه، سواءً أكانت مصلحة أو منفعة آجلة كحال يوم القيامة عند الجزاء، أو عاجلة في الدنيا، من مصالح واقعة ومتداولة، كما يقول العلامة ابن عبد السلام: "الشريعة كلها مشتملة على جلب المصالح كلها، دفعها وجلبها، وعلى درء المفساد بأسرها دفعها وجلبها، فلا نجد حكماً لله إلا وهو جالبٌ لمصلحة عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة، أو درء مفسدة عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة"<sup>٤٣</sup>.

كما يلزمنا كذلك التفريق ما بين المقاصد والوسائل، فالمقاصد هي المتضمنة للمصالح والمفاسد في ذاتها، وهي التي يسعى البعض إلى تحصيلها، لما فيها من أصل العمل وثمرته، أما الوسائل فهي الطرق المفضية إلى المصالح والمفاسد، وقد تختلف من طريق إلى الآخر، وأفضل الطرق هو ما أدى إلى تحصيل المصلحة بأقصر الأوقات والأعمال.

لهذا أكد علماء الأصول على أن "مراعاة المقاصد مقدمة على رعاية الوسائل أبداً"<sup>٤٤</sup>، وعليه فإن مراعاة المقاصد أولى من مراعاة الوسائل، وأن يفتخر في الوسائل مالا يفتخر في المقاصد<sup>٤٥</sup>، قال القرافي: "قاعدة الشرع أن الشيء إذا عظم قدره شُدِدَ فيه، وكثرت شروطه، وبالغ في إبعاده إلا لسبب قوي، تعظيماً لشأنه، ورفعاً لقدره، وهو شأن الملوك في العوائد"<sup>٤٦</sup>.

وتقصد هنا، المقاصد التي تعزز مقصد العقل وتحافظ على إنجازاته ومكتسباته، وتعمل على صونه من العبث والاستهداف من قبل العدو أو القوى التي يجيرها لصالحه في ضرب المشروع الإسلامي على أرض فلسطين.

وغالباً ما تكون هذه المقاصد قائمة على تحصيل يغلب على ظننا أنها ملزم بالحفاظ عليها في حماية مقصد العقل في هذا الصراع، وهذا معتبر أصولياً في الأحكام الشرعية كما يقول ابن عاشور أما " المقاصد الظنية، فتحصيلها سهل من استقراء غير كبير لتصرفات الشريعة، لأن ذلك الاستقراء يكسبنا علماً باصطلاح الشارع وما يراعيه في التشريع"<sup>٤٧</sup>، فما بالنسبة في قضايا التزاع الديني والسياسي، وهي بمحملها تدخل ضمن أطر العلوم الاجتماعية والسياسية.

<sup>٤٣</sup> ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ٣٩/١.

<sup>٤٤</sup> مصطفى مندوم، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص ٢٨٣.

<sup>٤٥</sup> نفلأ عن: مصطفى مندوم، قواعد الوسائل، ص ٢٨٧.

<sup>٤٦</sup> مصطفى مندوم، قواعد الوسائل، ص ٢٨٩.

<sup>٤٧</sup> ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٢٣٥.

وإذا كان الأصوليون قد ذهبوا إلى تفعيل هذا المقصد عبر المحافظة عليه من الزوال أو حمايته من الأذى، فيلزم علماء الشريعة في عصرنا الحاضر التنبيه على كل ما يؤدي إلى إلحاق الأذى والضرر بهذا المقصد، من خلال التنبيه إلى سياسات العدو الصهيوني على أرض فلسطين أو في المنطقة العربية والإسلامية بصورة عامة، وهنا يلزم المحلل والمتتبع لحال الصراع العربي الصهيوني أن يكون على علم ومتابعة بكل ما يجري من أحداث وتفاصيل قد تقع من حين لآخر، ليربط بينها وبين ما يستجد وما يدبر في خفاء من مشاريع وطروحات ورؤى هي في المحصلة ضد مصالح المسلمين.

وتزداد أهمية دور علماء الأمة في بيان الحق من الباطل، والمعروف من المنكر، كما يقول العلامة ابن عاشور: "وهل يميز المعروف من المنكر، والطاعة من المعصية إلا العلماء، فهم المسؤولون عن الأمة، والذين بيدهم تيسير الأمور"<sup>٤٨</sup>.

وهنا يجدر التنبيه على أن درء المفساد مقدم على جلب المصالح، وأن المصالح المظنونة لا تستحق أن يُفْرَحَ بها على حساب مفساد أعظم، كالتسليم للصهاينة في حقهم في أرض الإسلام وبمقدسات المسلمين، نظير قيام سلطة محدودة للفلسطينيين على أراضٍ تعوزها السيادة والمنعة.

### المبحث الثاني: توصيف أهم صور الصراع العقلي بين العرب والصهاينة

نتناول في هذا المبحث ما نعتقد أن له صلة وثيقة بطبيعة الصراع العقلي على أرض فلسطين، ما بين العرب والصهاينة، إيماناً منا بأن صور الصراع العقلي قد تعددت وتضارب.

#### ١ [التعامل مع العدو الصهيوني

ولعل من أبرز صور الصراع العقلي، اختلاف المنهج الإسلامي عن غيره من مناهج العلمانيين واليساريين والقوميين وغيرهم في التعامل مع العدو الصهيوني في احتلاله لأرض فلسطين. إذ أن المشروع الإسلامي التحرري يستند إلى رؤى شرعية قويمية يقينية قائمة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على قدسية أرض فلسطين، وعلى البعد التاريخي المهم لهذه الأمة في تعاملها مع أعدائها.

<sup>٤٨</sup> ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٣٦٤.

كما أن الصراع مع العدو الصهيوني صراع جوهره ديني حضاري، بين الحق والباطل، بين المشروع الإسلامي الحضاري النهضوي والمشروع الصهيوني الاستعماري، ومع هذه الرؤية الكلية للصراع، لا تعدم إمكانية استعمال كافة السبل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في سبيل تأييد هذه الرؤية الكلية، وتعزيدها للمشروع الإسلامي.

فالإسلاميون - نسبةً إلى من اختار الإسلام منهجاً للحياة - إذ يعترفون بدولة العدو اعترافاً واقعياً، إلا أنهم يرفضون الاعتراف الشرعي به، ويعتبرون أن هذه الجولة لهم، لكن الأيام دول، المهم أن لا يفرطوا في حقهم الديني والتاريخي في هذه الأرض، لذا، فهم يستعملون كافة الطرق والوسائل الشرعية لطرد المحتل، وإبعاده عن هذه الأرض المقدسة، ولعل من أبرزها المقاومة المسلحة بكافة الصور، كالعديد من الاستشهادية وإطلاق الصواريخ، واستهداف الصهاينة بكل العمليات المسلحة وغير ذلك من الصور.

في حين يرى الآخرون، - أنصار التسوية- أن الصراع سياسي ليس إلا، لذا، فليس من الغريب أن يتنازل - البعض منهم - عن ٧٨% من أرض فلسطين التاريخية، وهي المسماة بأراضي الـ٤٨، وليس من المستبعد أن تبدأ المفاوضات وتستمر على هذه القاعدة، وأن تكون الثوابت الفلسطينية التي نادى بها البعض في بداية الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٧، وتحديدًا بعد هزيمة الجيوش العربية في حرب الأيام الستة، كإزالة الاحتلال وتحرير الأرض الفلسطينية هي ثوابت معرضة للتغيير، فرفض العديد منهم الاستمرار على خط الثورة وبرنامجهما، وبدأت التنازلات ورفع الرايات البيضاء، وغير ذلك مما هو معروف في تاريخ القضية الفلسطينية<sup>٤٩</sup>.

وعلى ذلك، كان الخط السياسي هو الغالب لهذه القوى مع تمهيش لأي دور ديني في الصراع، وهي وإن كانت تتبع العمل السياسي ببعض التكتيكات العسكرية، كتأسيس كتائب عسكرية وعمل مقاوم، إلا أنها في النهاية تصب في خدمة مشروعها السياسي المحدود، دولة فلسطينية مزروعة السلاح.

<sup>٤٩</sup> انظر على سبيل المثال: رياض نجيب الريس، دنيا حبيب نحاس، المسار الصعب، المقاومة الفلسطينية منظماتها، أشخاصها، علاقاتها، (بيروت: النهار للخدمات الصحافية، ط١، ١٩٧٦)، زيه أبو نضال، تاريخية الأزمة في فتح من التأسيس إلى الانتفاضة، ط١، (نيقوسيا: دار الصمود العربي، ١٩٨٤)، شفيق الخوت، عشرون عاما في منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت: دار الاستغلال للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٦م)، محمود عباس أبو مازن، طريق أوسلو، (بيروت: مكتبة بيسان، ط١، ١٩٩٤)، منير المحور وطارق المرسي، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧-١٩٨٥، (عمان: دار الجليل للنشر، ط٢، ١٩٨٦).

أي أن المشروع الإسلامي يوازيه مشروع علماني يساري بمجمله بقوى متعددة وتنظيمات مختلفة، ومن هنا جاءت المفارقة في أوساط الشعب الفلسطيني، بين معارضة إسلامية للسلطة الحاكمة تقوم على منهج عقلي يستند على أصول دينية وأبعاد تاريخية وخصوصية دينية للعدو، وبين منهج عقلي للسلطة الحاكمة تستند على مصالح سياسية ورؤى متفاوتة.

ولكي ندرس الخلاف من ناحية أصولية مقاصدية، نرى أننا كمسلمين ملزمين بتبني المشروع الإسلامي بناءً على المعطيات الدينية اليقينية، والأبعاد التاريخية للصراع وطبيعة العدو، لكن هذا لا يمنع من أن نستخدم أدلة أصولية في تقويم هذين المنهجين تقويماً أصولياً مقاصدياً، بناءً على التجارب لكلا الطرفين، فنتقن ما قدمه برنامج الإسلاميين للقضية من مكسبات وإخفاقات، وما قدمه غيرهم من مكسبات وإخفاقات، جازمين بأن البحث لا يستند إلى رؤى حزبية أو فتوية بقدر ما يستند إلى أدلة أصولية مقاصدية معتبرة. يقول الجويني ٤٧٨هـ: "فإذا أفضى الأمر إلى خلاف ما تقتضيه الزعامة والإيالة، فيجب استدراكه لا محالة"<sup>٥٠</sup>. ولعل من أفضل المناهج الأصولية في هذا الشأن، هو منهج المصلحة أو الموازنة ما بين المصالح والمفاسد في هذين البرنامجين المطروحين في التعامل مع العدو الصهيوني. وهنا يلزمنا نقل ما ذكره ابن عبد السلام ٦٠٦هـ بأن أوضح الطريق الذي تعرف به المصالح من المفاسد، إذ يقول: "إن مصالح الدنيا وأسبابها ومفاسدها وأسبابها معروفة بالضرورات، والتجارب والعادات، والظنون المعتبرات، فإن خفي شيء من ذلك طلب من أدلته، ومن أراد أن يعرف المناسبات والمصالح والمفاسد، راجحها ومرجحها، فليعرض ذلك على عقله، بتقدير أن الشرع لم يرد به، ثم يبنى عليه الأحكام، فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك إلا ما تعبد به عباده، ولم يفقههم على مصلحته أو مفسدته"<sup>٥١</sup>. ومثله الشاطبي، عندما يعتبر العمل غير المشروع، هو ذلك العمل "ليس من المشروع في شيء، لأن المصلحة التي شرع لأجلها لم تحصل، بل المقصود به ضد تلك المصلحة"<sup>٥٢</sup>. وهذا ما دعا العلامة التونسي ابن عاشور إلى جعل المصالح والمفاسد تزداد أهميةً واجتهاداً عندما يُعرف مآل هذه الأفعال والأحداث بناءً على منظور المصلحة أو المفسدة، وكما يقول فهذا تقسيم "يسترعي حذق الفقيه"<sup>٥٣</sup>، بل إن هناك أعمالاً وأفعالاً لا تستلزم المفسدة لذاتها، تُمنع لأنها تجر إلى مفسدة واضحة، وهذا ما ذكره علماء الأصول سابقاً في مبحث "سد الذرائع"، وهو منع ما يجوز لفلا يتطرق به إلى ما لا يجوز شرعاً.

<sup>٥٠</sup> الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١٠٦.

<sup>٥١</sup> ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ١٣/١.

<sup>٥٢</sup> الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ٣٨٥/٢.

<sup>٥٣</sup> نقلاً عن: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٣١٦.

## ٢] الشروط الشرعية لعقد السلام مع العدو

ومن أهم أوجه الاختلاف بين البرنامجين، قبول أو رفض الصلح مع الصهاينة، ففي حين يرفض الإسلاميون التصالح مع العدو، بناء على ما ذكر، يرى غيرهم من العلمانيين واليساريين أن ذلك يصب في مصلحة الشعب الفلسطيني، وأن المصالح المخبئة من الصلح تتجاوز المفساد، وللتدليل على حقيقة الأمر، نقف على الشروط الموضوعية التي تناولها علماء السياسة الشرعية للصلح مع العدو، وذكروا بأن هناك شروطاً شرعية يلزم توفرها لإبرام المعاهدة<sup>٥٤</sup>.

من هذه الشروط<sup>٥٥</sup>:

(١) إبرام الإمام عقد المعاهدة، كما يقول الفقيه المالكي مواق ٨٩٧هـ: "وشرطها أن يتولاه الإمام لا غيره"، وأن يكون تصرفه قائماً على المصلحة الشرعية للرية، للقاعدة الشرعية المعروفة "التصرف على الرعية منوط بالمصلحة"<sup>٥٦</sup>.

وهذا في التوصيف الشرعي المتقدم، بيد أن هناك تطوراً إدارياً وسياسياً جديداً جاء بعد نهاية حقبة الاستعمار، ووجود الدول القطرية، لكن الحالة الفلسطينية، هي حالة مستثناة من هذا كله، للأبعاد الدينية والإقليمية والأطماع الدولية في هذا الجزء المهم من العالم الإسلامي.

فليس هناك قيادة شرعية منتخبة نظراً لوجود المحتل، وتشتت أكثر من نصف الشعب الفلسطيني خارج دياره، وغير ذلك من الموانع الحائلة دون اختيار قيادة فلسطينية منتخبة، على الرغم من وجود سلطة محدودة على الضفة الغربية وقطاع غزة، وفصائل وقوى فلسطينية تكافح ضد المحتل.

<sup>٥٤</sup> المعاهدة أصلها الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، فمن ذلك قولهم: عهد الرجل بعهد عدله، وأهل العهد: هم المعاهدون، والمصدر: المعاهدة، والمعاهدة على وزن مفاعلة. وقد استخدم الفقهاء هذا المصطلح مع مرادفات له مثل المواعدة أو المهادنة أو المصالحة والتي تؤدي معنى واحداً. ويمكن تجديد المعاهدة بأنها: "مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معينة بعوض أو غيره". انظر بتوسع: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٧٦/٤، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط.١)، ٤٨/٤، الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط.٢، ١٩٨٢)، ١٠٨/٧، الماوردي، الحاوي الكبير، تحقيق: محمود مطر، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤)، ٤٠٥/١٨، الشرنبلي، معنى المحتاج، تحقيق ودراسة: علي محمد معوض، وعادل عبد الموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤)، ٨٦/٦، ابن قدامة، المغني، ٤٥٩/٨.

والمعاهدة في القانون: اتفاقات تعقدتها الدول فيما بينها بغرض تنظيم علاقة قانونية دولية وتعدد القواعد التي تخضع لها هذه العلاقة انظر: أبو هيف، القانون الدولي العام، (الإسكندرية: دار منشأة المعارف، ط. ١٩٧٢م)، ص ٥٦٥.

<sup>٥٥</sup> انظر: أبو يوسف، الخراج، تحقيق: إحسان عباس، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٥)، ص ٤٠٥، النووي، روضة الطالبين، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط. ٣، ١٩٩١م)، ٥١٩/٧، ابن القيم، أحكام أهل الذمة، تحقيق: صحي الصالح، (بيروت: دار العلم للملايين، ط. ٣، ١٩٨٣م)، ٤٧٦/٢، ابن حري، القوانين الفقهية، (لبيد: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م)، ص ١٣٥، عبد الكريم زيدان، مجموعة بحوث فقهية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط. ١٩٨٦م)، ص ٢٨، الخصاص، أحكام القرآن، ٢٩٥/٢، خالد الخليلي، أحكام الأحلاف والمعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون، (بغداد: جامعة بغداد، ١٩٨٧)، ص ٣٤، عمود الدين، المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، (لا يوجد مكان ولا دار نشر، ط.١)، ص ٦٥، محمد هبكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ١٤٨٠/٣، سامي الصلاحات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، ص ٢٥٧.

<sup>٥٦</sup> محمد البورنو، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص ٣٤٧.

لكن وتجاوزاً لكل هذه المعايير، - وعلى افتراض وجود قيادة شرعية - نرى حتى في هذا الشرط لم تتحقق الشروط الموضوعية على الأرض، ففي اتفاقية أوسلو ١٩٩٣، والتي ترتب عليها قيام سلطة فلسطينية، هي اتفاقية وبكل المعايير السياسية قفزت عن صوت الشعب الفلسطيني الشرعي، وجعلت الأمر وكأن فلسطين بأرضها وشعبها إقطاعاً عند أفراد قاموا بالتوقيع على هذه الاتفاقية، لذا لم يكن من الغريب أن ترفضها أغلب القوى والفصائل، هذا فضلاً عن الحكم الشرعي الراض لمثل هذه الاتفاقيات الجاحدة لحق المسلمين في هذه الديار.

والذي نراه في القيادة الفلسطينية في حال عدم وجود انتخابات حقيقية ونزيهة، أن يختاروا الأفضل والأصلح لهم، ولقد ذكر ذلك عالم المقاصد والأصول الجويني ٤٧٨هـ: "لو خلا الزمان عن السلطان، فحق على قُطّان كل بلدة وسكان كل قرية، أن يقدموا من ذوي الأحلام والنهي، وذوي العقول والحجا من يلتزمون امتثال إشاراته وأوامره"<sup>٥٧</sup>.

(٢) تحقيق المصلحة للمسلمين، كما يقول المرغيناني ٥٩٣هـ من علماء الحنفية: "وإذا رأى الإمام أن يصلح أهل الحرب أو فريقاً منهم، وكان في ذلك مصلحة للمسلمين، فلا بأس به". وهذا الشرط، لم يتحقق في اتفاقية أوسلو أو ما جاء من قبلها من مفاوضات سرية جاءت على استحياء، أو ما جاء بعدها من تفاهات علنية لم تقضي إلى مصلحة شرعية، فضلاً عن سياسية. بل يرى العلماء أن نقض المعاهدة "المؤقتة" خاضع لتقدير الحاكم المسلم أو القيادة المسلمة، لقوله تعالى ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين ﴾ سورة الأنفال، ٥٨، وقوله تعالى ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾، سورة التوبة، ٧. وفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع بني النضير واضح، لما أرادوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم بإلقاء الجدار عليه، فأنهى العهد معهم وقتلهم"<sup>٥٨</sup>.

<sup>٥٧</sup> الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص ٣٨٨.

<sup>٥٨</sup> مصنف عبد الرزاق، كتاب المغازي، وبالتحديد في وصف وقعة بني النضير، جاء فيه: "ثم كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكانت منازلهم وظلهم بناحية من المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أفلت الأبل من الأمتعة والأموال إلا الخلق - يعني السلاح - فأئذ الله فيهم "سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم" هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر، فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، فكانوا من سبط لم يصعبم جلاء فيما جلا، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والساء.

وحدث العلماء هنا ينصب على القتال الدائر بين المسلمين والأعداء خارج الدولة الإسلامية، ولا أعلم أن حديثهم يشمل دخول الأعداء دار الإسلام واحتلالها بالقوة، فهنا الأحدث أن تكون المقاومة المسلحة والجهاد هي العنوان الأبرز في التعامل مع المحتل أو العدو الغاصب.

فحين تحتل دولة إسلامية، فلا إمكانية للتفاوض من أجل الصلح، أو عقد اتفاقية سلام دائمة مع العدو للأبد، بل قد يقع هذا في شكل هدنة مؤقتة تكون لصالح المسلمين، إذا تيقنت قيادة المسلمين بذلك لمصلحة معتبرة في وقتها.

وهذا الشرط، قطعاً لا يتحقق في الحالة الفلسطينية، إذ أن فلسطين أرض إسلامية وقعت تحت احتلال، ويجب أن ترجع هذه الأرض إلى المسلمين، إذ لم يكن اليوم، فإن شاء الله يأتي يوم ترجع فيه إلى ملكية المسلمين.

وفلسطين على الخصوص، فيها نظرة شرعية معتبرة، لما تحويه من مقدسات ومركز للصراع الحضاري، وللطبيعة الدينية للعدو من جانب آخر.

وحدث البعض عن الهدنة مع العدو، وهي المعاهدة المؤقتة، أو عقد السلام المؤقت، فالأولى أن ينظر بها إلى مصلحة المسلمين لا مصلحة الأعداء، وهذا باتفاق العلماء والفقهاء<sup>٥٩</sup>.

وعند تراحم المصالح والمفاسد في قضايا الصلح والسلم، يجب أن ننظر إلى المصلحة الراجحة من منظور الشريعة، لا من منظور الأحزاب السياسية أو الفتوية، وهناك العديد من المسالك الشرعية والقواعد الأصولية التي تحدد المصلحة الراجحة، نعل واحدة منها أنه "يقدم عند التزام خير الخيرين، ويدفع شر الشرين"<sup>٦٠</sup>، أو على حد وصف الجويني ٤٧٨هـ: "مبي هذا الكلام على طلب مصلحة المسلمين، وارتياح الأنفع لهم، واعتماد خير الشرين إذا لم يتمكن من دفعهما جميعاً"<sup>٦١</sup>.

يفسرهما العلامة ابن تيمية ٧٢٨هـ بقوله: "فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين، فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكلميها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعاً، ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعاً"<sup>٦٢</sup>.

<sup>٥٩</sup> انظر: وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ٣٦١.

<sup>٦٠</sup> انظر بتوسع: عبد السلام الحصين، القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية، ١/١٩٩.

<sup>٦١</sup> الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١١١.

<sup>٦٢</sup> نقلاً عن: عبد السلام الحصين، القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية، ٢/٢٠٣، كذلك انظر بتوسع: أحمد موابي، الضرر في الفقه الإسلامي، ١/٣٩٤.

هذا فضلاً عن ضرورة خلو أي اتفاق مع العدو من أي شروط "فاسدة أو تعسفية" لما ضرر قد يلحق بالمسلمين، من نقص سيادة أو نزع القوة عنهم أو السلاح، أو اتفاقيات أمنية لضرب عناصر المقاومة لحفظ حقوق المسلمين، أو إبقاء سجناء مسلمين داخل سجون الاحتلال، أو فرض شروط اقتصادية تبعية، أو تبعية ثقافية أو اجتماعية للعدو، وهذا ما نراه من خلال في اتفاقية أوسلو، التي فرضت شروطاً مجحفة بحق المسلمين في فلسطين.

والأصل في هذا العزة والكرامة لأهل الإسلام، كما قال الله تعالى ﴿فلا تقنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون، والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾، سورة محمد، ٣٥.

٣) اشتراط الزمان وتحديد المدة، قال المرادي ٨٨٥هـ: "فمن رأى المصلحة في عقد، جاز له عقدها مدة معلومة". واشتراط المدة لعللة تمكين المسلمين، وتحصيل قوتهم ومنعتهم، كما يقول ابن عبد السلام ٦٠٦هـ إن "خيف على أهل الإسلام، جاز التقرير بالصلح عشر سنين رعاية لمصالح المسلمين"<sup>٦٣</sup>، وقد تكون المواجهة العسكرية لصالح العدو، فإن "أهزم المسلمين من الكافرين مفسدة، لكنه جائز إذا زاد الكافرون على ضعف المسلمين.. تخفيفاً عنهم، لما في ذلك من المشقة، ودفعاً لمفسدة غلبه الكافرين، لفرط كثرتهم على المسلمين"<sup>٦٤</sup>.

ولاعتبار أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن لا أحد يستطيع إيقاف هذا الحكم الشرعي، لأن الأصل في الدعوة الإسلامية أنها مستمرة حتى تقوم الساعة، سيما وأن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عالمية لكل البشر، وأن أي عائق قوة قد يقف أمام هذه الدعوة، الأصل أن يزال بالطرق السلمية، فإن لم يكن، فلا بأس بالجهاد والقوة وقتها.

٤) أن يخلو عقد الصلح من الشروط الفاسدة، مثل أن يُعطي العدو جزءاً من بلاد المسلمين، وهذا الشرط واقع في جميع عمليات التسوية والتفاوض مع العدو، إذ أن كل هذه الاتفاقيات قائمة على إعطاء الصهاينة أكثر من ٧٨% من أرض فلسطين التاريخية، وهذا الشرط لوحده يسقط أي اتفاقية أو معاهدة مع العدو.

وقد يتعجب المرء - إذا لم يعتبر المنهج الإسلامي - من هذه الشروط وقبورها، وأن في المفاوضات مع العدو الصهيوني منافع، أبرزها إحضار قيادة السلطة الفلسطينية للداخل الفلسطيني بعد سنوات

<sup>٦٣</sup> ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ١/١٤٨.

<sup>٦٤</sup> ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ١/١٥٠.

من الضياع والتشرد لهذه القيادات، لكن إذا نظرنا إلى هذه المصالح الجزئية على حساب المصالح الكلية والقضايا الكبرى للقضية الفلسطينية، كإسقاط حق العودة، والتنازل عن المسجد الأقصى وغياب الدولة والسيادة وغيرها، لوصلنا إلى مفاد الأمر، وهو أن مفاسد هذه الاتفاقية أكبر من مصالحها بالقطع.

والقاعدة الأصولية التي أشار إليها الشاطبي أنه إذا تعارض أمر كلي وأمر جزئي، فالكلي مقدم، لأن الجزئي يقتضي مصلحة جزئية، والكلي يقتضي مصلحة كلية، ولا ينخرم نظام العالم بانخراط المصلحة الجزئية<sup>٦٥</sup>. وهذه الشروط في الأعم الأغلب تكون بحسب ما تدعو إليه الضرورة في ذلك العقد، وبحسب الحال الواقع، مع التأكيد على أن المعاهدة عقد، والأصل في العقود أن تعقد على أي صفة كانت فيها المصلحة، هذا مع التنبيه على أن المعاهدات تعتبر مصدراً من مصادر القانون الدولي الإسلامي، كما يقول الجصاص ٣٧٠هـ: "وقد اشتمل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ سورة المائدة، ١، على إلزام الوفاء بالعهود والذمم التي نعقدها لأهل دار الحرب وأهل الذمة، وغيرهم من سائر الناس"<sup>٦٦</sup>.

بل بحث العلماء جواز التعرض للعدو، وإعلان الحرب عليه إذا هو تعدى وطن في ديننا، وكذب حقائقه، وعمل على تزييفها، كما قال عز وجل: ﴿وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم، فاقتلوا أئمة الكفر أنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ سورة التوبة، ١٢.

فالفهائية لم يدعوا حقيقة دينية إسلامية، إلا حاولوا الطعن بها، وإثارة الشبهات حولها، فضلاً عن العمل على إلغاء الهوية الإسلامية لبيت المقدس، وهدم المساجد، وهذا كله يدخل ضمن الحرب على الإسلام والوطن في الدين<sup>٦٧</sup>.

ونحن قبل الولوع بالمقارنة بين منهج الإسلاميين والعلمانيين أبرز خصومهم، نوضح أننا كمسلمين لنا معايير في تحديد المصلحة، أولاً موافقتها للشريعة، ثم لمصالح المسلمين في فلسطين، بناءً على تجارب وعادات وظنون معتبرة من التاريخ وطبيعة العدو.

<sup>٦٥</sup> الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ٣٢٤/١، مجدي عاشور، الثابت والمتغير في فكر الشاطبي، ص ٣٠٤.

<sup>٦٦</sup> عبد الكريم زيدان، مجموعة بحوث فقهية، ص ٢٨، الجصاص، أحكام القرآن، ٢/٢٩٥.

<sup>٦٧</sup> انظر: ضو غنم، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام، ص ١٥٥.

هذه الشروط كلها تشير بقوة ووضوح إلى حرمة عقد أي صلح مع الصهاينة أو المحتلين، بناءً على الشروط الشرعية التي تجلب للمسلمين المصالح وتدرء عنهم المفاسد، ولأن "الرأي يجب أن يكون على مقتضى الشرع، فإن الذي لا يقتضيه الشرع لا معول له"<sup>٦٨</sup>.

ولقد صدرت العديد من الفتاوى الشرعية من عموم علماء الإسلام في عصرنا الحاضر على حرمة أي صلح مع العدو الصهيوني<sup>٦٩</sup>.

وفي هذا الشأن، لا تنفق مع رأي أو فتوى الدكتور أحمد الريسوني [ ٣٠ مايو ٢٠٠٦ ] الذي أشار بجواز الصلح مع الصهاينة لحاجة الشعب الفلسطيني المحاصر، لاعتبار أن للضرورة أحكاماً، "والفلسطينيون اليوم وحدهم في المعركة... فإذا رأوا وقدروا وقرروا أنهم لا قبل لهم في الظروف الراهنة وإلى أجل غير مسمى، بمواجهة العدو ومن وراءه ومن يجرسونه من حوله، وأنهم لا قدرة لهم في الأمد المنظور على تحرير فلسطين كل فلسطين فلهم أن يجتهدوا ويتصرفوا في حدود طاقتهم. وفوق طاقتك لا تلام،.. [كما أن] العقود التي تتم تحت القهر والإكراه والاضطرار لا تعطي للظالم حقاً ولا مشروعية، وليست لها قيمة شرعية ولا قانونية. وهي قابلة للنقض والإلغاء في أي وقت..."<sup>٧٠</sup>.

وإذا كنا نرى أن اجتهاد الدكتور كان للمساهمة لرفع الظلم والحيث عن الشعب الفلسطيني في ظل الحصار الظالم بعد ٢٥ يناير ٢٠٠٦، إلا أننا نقول إن السلطة والحكومة ليس مكسباً شرعياً في ظل الاحتلال الصهيوني وقيوده الصارمة عليها، مقابل الاعتراف به، وتقديم التنازلات المخانية له. بل أقصى ما يمكن أن يُعطى المحتل، هدنة بدون صلح أو اعتراف شرعي، تحدد حسب المصلحة التي نص عليها علماء السياسة الشرعية لصالح المسلمين، فنحن وإن كنا نُقرّ ونعترف واقعياً بوجود دولة الاحتلال وقوتها الضاربة في الأرض والمنطقة العربية، إلا أننا لا نُقرّ لها بالاعتراف الشرعي، ولا يمكن أن يُستخدم معها سياسة البراغماتية التي تفننت بها منظمة التحرير الفلسطينية، ولم يجلب لها سوى المزيد من التنازلات في ظل إعطاء العدو كل ما يريد.

٦٨ الجوزي، غياث الأمم في التياث الظلم، ص ٨٥.

٦٩ انظر تبويب الحكم الشرعي لحكم الصلح مع اليهود، حسن صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص ٥٠٨.  
٧٠ أحمد الريسوني، قضية فلسطين اليوم، رؤية فقهية سياسية، ملف عن القضية الفلسطينية وآراء بعض العلماء المعاصرين، لا سيما بعد الحصار الظالم على الشعب الفلسطيني بعد الانتخابات التشريعية في ٢٥ يناير ٢٠٠٦، وما تبع ذلك من تداعيات دولية، انظر: موقع [إسلام أون لاين، [www.islam-online.net](http://www.islam-online.net)].

كما أن توقيع الاتفاقيات الدولية بعد الاعتراف بالعدو الصهيوني، قد يترتب عليها مفاسد أعظم من رفع الحصار عن الشعب الفلسطيني، بعد قد تشمل المفاسد المحيط العربي والإسلامي، ويعطي ذريعة للعدو الصهيوني أن يتوسع على حساب هذا الاعتراف وما يتبعه من اتفاقيات دولية، ولعل اتفاقية أوسلو مثلت النموذج الذي أرادته الأعداء من المنظمة بعد الاعتراف.

ثم أن أصل المعركة تبقى دائماً بين المسلمين والصهاينة على أرض فلسطين، وأن الشعب الفلسطيني ما هو إلا رأس الحربة، ولا يمكن أن نعزل رأس الحربة عن الجسد بكامله، وأن نحدد له ظرفية شرعية تنفصل عن ظرفية الأمة بأكملها، لأن ذلك سيحدد قطرية المعركة، ويفصلها رويداً رويداً عن العمق العربي والإسلامي، ولا أظن أن الدكتور قد أراد ذلك.

### ٣] جدول للمقارنة ما بين المنهج الإسلامي والمنهج العلماني في تحرير أرض فلسطين

المقارنة بأهم القضايا	المنهج الإسلامي	المنهج العلماني
المبادئ والثوابت	التزام تام بالثوابت الشرعية والوطنية رغم الضغوطات	تنازل واضح في المبادئ والثوابت، مثل التنازل عن ميثاق المنظمة عام ١٩٩٧، بعد الإقرار باتفاقية أوسلو وتداعياتها.
المسجد الأقصى	عقيدة لا تقبل المفاوضات أو التنازلات	هناك إشكاليات سياسية مصلحية في هذا، مثل السماح لليهود بالحصول على جزء من الحرم مقابل الحصول على المسجد.
القدس	وضوح تام بعدم التنازل عن المدينة	ضبابية في التفاوض عن المدينة، التنازل عن القدس الغربية، مقابل الحصول على القدس الشرقية.
الأمن الصهيوني	أدى إلى ضرب نظرية الأمن الصهيوني	أدى إلى تثبيت الاستقرار الأمني إلى حد ما، بفضل الاتفاقيات والتنسيق الأمني.
الهجرة الصهيونية	أدى إلى الحد منها بصورة كبيرة بسبب المقاومة	أدى إلى زيادتها بصورة كبيرة بسبب الاتفاقيات
اقتصاد العدو	أدى إلى ضرب الاستقرار الاقتصادي الصهيوني	دعم اقتصاد العدو بالتبعية بسبب الاتفاقيات والواقع الذي فرضه اتفاق أوسلو
الدفاع عن الفلسطينيين	استهداف الصهاينة جميعاً، دفاعاً عن المسلمين العزل.	هناك قيودات تفاوضية تحول دون الرد العسكري.

فلسطين دراسات من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية

وضع المستوطنات	أدى إلى ضربها وبث الرعب بين سكانها، من خلال إطلاق صواريخ والعمليات الاستشهادية	أدى إلى زيادة أعداد سكانها، وكثرتها، بسبب القيود التفاوضية على سياسات السلطة.
وضع اللاجئين	عدم التنازل عن حقهم في العودة إطلاقاً	ضبابية في التعاطي معهم، بسبب الضغوط الدولية
الدولة الفلسطينية	المطالبة بها كاملةً وشرعية	الموافقة على دولة مقطوعة الأوصال
المعتقلين	المطالبة بالإفراج عنهم من خلال كافة الوسائل من بينها استعمال القوة.	الإفراج عنهم، من خلال التفاوض، والنتائج محدودة جداً.
منهج التعامل مع الآخر	عدم الاصطدام وحرمة الدم الفلسطيني	تجربة سيئة في الإفراط في استخدام القوة ضد الآخر، تجربة عام ١٩٩٦، وحقوق المعتقلين في السلطة.
الانتخابات والرأي العام	صعود في كسب الجماهير والرأي العام	ضعف وتردد في كسب الجماهير
الرموز والقيادات	نماذج وقنوات معتبرة مضحية	نماذج حسنة مع وجود مفسدين أفسدوا الصورة
الثورى والديموقراطية	التزام واضح بالخط الثورى والعمل المؤسسي	ضعف العمل المؤسسي، ووجود أجنحة متصارعة
ولاء الأتباع	ولاء تام للمنهج والتزام بخط القيادة	تعدد الولاءات وخروج واضح عن خط القيادة
الشفافية في الأموال	لم يسجل اختلاسات مالية واضحة	فساد مالي وإداري، وبروز طبقة المفسدين.
العمل الإداري	لم تسجل اضطرابات إدارية واضحة على الأداء العام للإسلاميين.	سوء في الأداء السلطوي خلال فترة أوسلو، أما على النطاق الحركي فالأمر غير واضح.
الشعبية خارج فلسطين	شعبية واضحة على النطاق الشعبي العربي والإسلامي	ضعف في تحصيل تأييد شعبي لبرنامج التفاوض
الثقافة العامة	نشر ثقافة التضحية والشهداء	نشر ثقافة الضعف والتبعية والرضا بالواقع المفروض
ظاهرة الصلاء للعدو	استهداف هذه الظاهرة والحد منها.	تعزيز هذه الظاهرة بحكم الاتفاقيات مع الصهاينة
التطبيع في المنطقة	كان حاجزاً قوياً في منع التمدد الصهيوني في المنطقة	كان ذريعة للتمدد الصهيوني في المنطقة

وإذا أردنا أن ندقق في هذين المنهجين، لا بد من التذكير بأن المصالح الناتجة عن كلاهما لا بد أن تشمل المصلحة العامة، أي مصلحة المسلمين في فلسطين، ولا تخص مصالح الأفراد والآحاد منهم أو الأحزاب أو الجماعات، فالبعض استفاد من مصالح التسوية مع الصهاينة في تدعيم تجارتهم وشركاتهم، على حساب قوت الشعب الفلسطيني، ولقد كان للعدو دور في صناعة بعض رموز الفساد الأخلاقي والمالي، وهؤلاء فضحوا على نطاق واسع في أوساط الشعب الفلسطيني والعربي.

يقول العلامة المقصدي الجويني ٤٧٨هـ: "وإذا لم تكن الإيالة - أي السياسة - الضابطة لأهل الإسلام على الإلزام والإبرام، كان ضررها مُبراً على خيرها"<sup>٧١</sup>.

وبالخلاصة نقول، إن كل الاتفاقيات التي عقدها نفرٌ من الفلسطينيين أو العرب مع الصهاينة هي اتفاقيات لا تلامس حقيقة المصلحة الشرعية، فضلاً عن احتوائها على مزيد من المفساد والمضار للمسلمين، وتشكيلها خطراً دائماً عليهم، وبالتالي، وتبعاً للفتاوى الشرعية الصادرة من أغلب علماء المسلمين المعاصرين، فإن هذه الاتفاقيات باطلة، وما ترتب عليها باطل وفساد، للقاعدة الشرعية المعروفة "المبني على الفاسد فاسد"، أو إذا "بطل المتضمن، بطل المتضمن"<sup>٧٢</sup>.

وأن على الشعب الفلسطيني اختيار من يمثلهم، وأن يكون "الأفضل هو الأصلح.. فالأكفأ أولى بالتقدم.. [أو] الأشهم أولى أن يقدم"<sup>٧٣</sup>.

### المبحث الثالث: مقاصد أصيلة في حفظ ضروري العقل

والمقصود هنا بالمقاصد الأصيلة في مضمون تطورات القضية الفلسطينية أو الصراع العربي الصهيوني، هي الضروريات المعتبرة في القضية الفلسطينية، والتي يمثل الحفاظ عليها مصلحة للمسلمين وللمشروع الإسلامي الحضاري على أرض فلسطين.

ونحن وإن كنا نؤكد على هذه المقاصد الأصيلة في دائرة الصراع مع العدو، يلزمنا أن نفعل هذا ضمن إطار العمل الاستراتيجي، وهو "عملية التخطيط اللازمة لتعبئة الموارد والإمكانات، وتوجيه السياسات، واستخدام الأدوات والوسائل المتاحة، من مرحلة إلى أخرى، لمواجهة موقف معين، من

<sup>٧١</sup> الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١٠٣.

<sup>٧٢</sup> محمد البورنو، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص ٣٤٢.

<sup>٧٣</sup> الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١٧٠.

أجل تحقيق أهداف محددة"<sup>٧٤</sup>، ومن أهم المقاصد الأصيلة في حفظ العقل والتي يمكن اعتبارها في الصراع العربي الصهيوني:

١) رفض المنهج السلمي أو التسوية السلمية أو طريق المفاوضات كطريق وحيد وأساسي لاسترداد فلسطين المحتلة، إذ أن هذه الطريق بمواصفاتها الدولية المتداولة مع الصهاينة مخالفة شرعاً للمنهج الإسلامي القائم على أن للمسلمين الحق في ديارهم، وأن من احتلها، وجب على جميع المسلمين العمل على طرده بكل الطرق السلمية والعسكرية، وما دام المحتل متمسكاً بالأرض والسلطة، ويرفض التنازل عنها أو الاعتراف للمسلمين بأي حق فيها، فالحل هو العمل الجهادي المقاوم حتى دحره. وبذلك، يكون الجهاد والمقاومة الأصل الشرعي القائم في قضية فلسطين، وما عدا ذلك يُعتبر باطلاً شرعاً خصوصاً إذا أدى إلى مفسدة للمسلمين.

فالمصالح التي تنتج عن أي مشروع سياسي لتسوية المشكلة ما بين العرب والصهاينة، كلها مصالح لا ترتقي إلى درجة الاعتبار، فضلاً عن تحقيقها مفسد عظيمة، وكما يقول ابن عبد السلام: "إذا عظمت المصلحة أوجها الرب سبحانه وتعالى في كل شريعة، وكذلك إذا عظمت المفسدة حرمتها في كل شريعة"<sup>٧٥</sup>. فرفض التسوية السلمية قائم على المنهج الشرعي القائم على تحصيل المصلحة ودرء المفسدة.

بل يعتبر الصلح الدائم مع الصهاينة مخالفة لمبادئ الإسلام، " إذ لا يجوز الصلح مع الأعداء إلا على أساس قواعد عهد الذمة، والتزام الأحكام الإسلامية، كما لا يجوز إقرار الغاصب لبلادنا على غصبه، وكل ما يجوز هو الهدنة المؤقتة التي يجوز تمديد مدتها بحسب الضرورة أو الحاجة"<sup>٧٦</sup>. في حين أن فتح المقاومة والجهاد، وإن كان فيه " إفساد وتفويت للنفوس والأطراف والأموال، وهو مع ذلك قرينة إلى الله"<sup>٧٧</sup>، قائم على تحصيل مصالح عاجلة وآجلة.

وإذا كنا نؤيد القول بالجهاد المطلق ضد العدو، ضمن الأدوات والوسائل المتاحة، فهو معتبر ضمن القاعدة الأصولية " المعجوز عنه ساقط الوجوب، والمضطر إليه غير محظور"<sup>٧٨</sup>، أي أن واجب الجهاد

<sup>٧٤</sup> انظر: مجموعة من الباحثين، العرب ومواجهة إسرائيل، احتمالات المستقبل، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٠)، ١٣٢٧/٢.

<sup>٧٥</sup> ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ١/٦١.

<sup>٧٦</sup> وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية، ص٦٧.

<sup>٧٧</sup> ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ١/١٨٥.

<sup>٧٨</sup> عبد السلام الحصين، القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية، ١/٥١٣.

على الأفراد والجماعات والدول والأمة بأسرها واقع ضمن حالة الاستطاعة في العلم والعمل، لأن الآية الكريمة تقول ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ سورة البقرة، ٢٨٦ .  
وفي المقابل، إذا وقع الاضطرار في باب الجهاد والمقاومة، فإن القاعدة الأصولية المشهورة تقول الضرورات تبيح المحظورات، فيرفع الإثم عن المضطر، ويباح له فعل المحظور قدر الحاجة، دعماً لنصالح العام للمسلمين، لقوله تعالى: ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾ سورة البقرة، ١٧٣ .

٢) من المقاصد الأصيلة في حفظ العقل، ونجاعة القرار السياسي الصائب في خدمة المشروع الإسلامي تعزيز العمل المؤسسي والشورى في القيادة المجاهدة المتصدية للمحتل، ورفض التفرد والتحكم بالقرار السياسي، بواسطة فرد أو حزب أو حركة.  
والأصل في ذلك أن الشورى تتجه حكماً ونتيجة إلى الوجوب والإلزام على رأي أغلب الفقهاء، والأدلة على ذلك كثيرة، أبرزها قوله تعالى ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾، سورة آل عمران، ١٥٩، ولأن الأصوليين يقولون أن صيغة الأمر تشير إلى الوجوب ما لم تصرفه قرينة<sup>٧٦</sup>، ولا قرينة صارفة عن الوجوب.

وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: " ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>٧٧</sup>.

يقول الأستاذ عبد القادر عودة أن الله عز وجل " جعل الشورى من لوازم الإيمان، حيث جعلها صفة من الصفات اللاصقة بالمؤمنين المميزة لهم عن غيرهم، .. فلا يكمل إيمان المسلمين إلا بوجود صفة الشورى فيهم، ولا يجوز لجماعة مسلمة أن تقيم أو ترضى إقامة أمرها على غير الشورى، وإلا كانت آثمة مضیعة لأمر الله"<sup>٧٨</sup>.

وقد سئل بعض الخلفاء أي شيء يؤيد العقل؟ وأي شيء أشد به إضراراً؟ قال: " أما أشده تأييداً فمشاورة العلماء وتجربة الأمور، وحسن التثبيت، وأشد به إضراراً فالاستبداد والتهاون والعجلة"<sup>٧٩</sup>.

<sup>٧٦</sup> الشاطبي، الموافقات، ١١٥/٤، الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: سامي الأشرقي، (الرياض: دار الفضيلة، ط ١، ٢٠٠٠)، ٤٤٥/١، فتحي الدريبي، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٢)، ص ٤٢٠، عبد أبو النور، أصول الفقه، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ط.ت)، ١١٢/٢.

<sup>٧٧</sup> سنن البيهقي، كتاب أداب القاضي، باب مشاورة الوالي والقاضي في الأمر، ١٨٦/١٠، الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار، (بيروت: دار الجيل، ط.ت)، باب ما جاء في مشاورة الإمام الخيضي، ونصحه لهم ورفقه بهم، وأخذهم بما عليهم، ٤٦/٨.

<sup>٧٨</sup> عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤)، ص ٩١.  
<sup>٧٩</sup> شعب الإيمان، باب في تعديد نعم الله.

ولقد أثبتت السنن الكونية والأحداث التاريخية أن حركات الإصلاح والمجاهدة لا تنجح في صد العدوان، ما لم تكن متماسكة وصلبة في دحر المحتل، وهذا لا يتأتى إلا من خلال عمل مؤسسي شوري، لا يكون للفرد فيه نصيب على حساب الجماعة.

فعلى سبيل المثال، جاء عصر صلاح الدين، المحرر العظيم للقدس، ومحررها بعد عصور من الذلة والهوان، والتقهير السياسي بين المسلمين وحكامهم، فيروي ابن الأثير عن عصره، فيقول: "قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين من قبل الإسلام، ومنه إلى يومنا هذا، فلم أر فيه بعد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين، ولا أكثر تحريماً للعدل والإنصاف منه، قد قصر ليله وفهاره على عدل ينشره، وجهاد يتجهز له، ومظلمة يزيلها، وعبادة يقوم بها، وإحسان يوليه، وإنعام يسديه، فلو كان في أمة لا فتخرت به، فكيف بيت واحد" <sup>٨٣</sup>.

٣) من مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ العقل وصلاح الأفراد والجماعات والدول في ظل الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، أن تفعل التعبئة الشاملة في أفراد الأمة ضد العدو الصهيوني، بكافة الوسائل والأدوات، من تعليم وتربية وإعلام وثقافة واقتصاد وسياسة، الخ. أن تكون جماعة المسلمين أو دولة الإسلام "مرهوية الجانب، مطمئنة البال" <sup>٨٤</sup>.

وهذا لا يتم إلا بالاعتزاز بديننا وهويتنا الحضارية، ومخالفة مناهج الآخرين وطرقهم في الحياة، يقول ابن تيمية ٧٢٨هـ: "وما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم، وإن كانت هذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، كثيرة الشعب، وأصلاً جامعاً من أصولها" <sup>٨٥</sup>.

وأن لا يعتد بالمناهج العقلية أو البرامج السياسية التي تجلب على الأمة الخزي والعار والذل والهوان، والنصوص التي تدعو إلى هذا عديدة ومتنوعة، من ذلك قوله عز وجل: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ سورة النور،

<sup>٨٣</sup> ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ١٦٣، نقلاً عن: ماجد الكيلان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس، (عمان: دار الفرقان، ط ١، ١٩٩٨)، ص ٣١٢.

<sup>٨٤</sup> هذا لفظ العلامة ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٤٠٥.

<sup>٨٥</sup> ابن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم، ص ١٧.

٥٥، قوله عز وجل: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجنيه حياة طيبة ﴾ سورة النحل، ٩٧، وقوله عز وجل ﴿ والله العزة لرسوله وللمؤمنين ﴾ سورة المنافقون، ٨. وقد ثبت بالاستقراء الواقع أن توقيع اتفاقية سلام مع العدو الصهيوني قد جر الأمة والأفراد للهوان والذل والتبعية، ويكفي أن لنا في اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ العبرة، تبعية اقتصادية للعدو، لا توجد سيادة كما أنه لا توجد سياسية حقيقية للسلطة الفلسطينية، حتى أن رئيس السلطة إذا أراد أن يتنقل داخل الأراضي الفلسطينية لا بد أن يحصل على إذن مسبق من قوات الاحتلال، دولة مزروعة السلاح، لا ميناء ولا مطار إلا وللعدو سلطة فوقية عليه، وهكذا، مما جعل الأعداء يتحكمون في مصير هذا الشعب، ويفرضون عليه ما يريدون، وهذه هي بعض استحقاقات السلام الزائف. والقاعدة الشرعية تقول بتحمل الضرر الخاص في سبيل دفع الضرر العام<sup>٨٦</sup>، فعلى الرغم من معاناة الشعب الفلسطيني على مدار أكثر من نصف قرن، لا يجوز أن يكون هذا مدخلاً للتسليم للصهاينة في حقهم في المقدسات والأراضي الإسلامية. والذي يستشهد في عملية استشهادية يفقد نفسه وماله، وقد يسبب ضرراً لأهله، ومع كل هذا الضرر الخاص، لا بد أن تكون المصالح العامة كحفظ المقدسات، وحرمان المسلمين مقدمة على المصالح الخاصة.

وفي هذا الصدد، يجب رفض كل المحاولات التي تسعى إلى إزالة النصوص الدينية أو التاريخية المتعلقة بفهم الشخصية اليهودية، وخصوصية عداوتها للمسلمين، أو ما يسمى بالتطبيع الثقافي أو الفكري مع العدو الصهيوني، والتأثير على العقل المسلم في جعل الأعداء أصدقاء، وتخدير هذا العقل لصالح الصهاينة، ولقد سعى الصهاينة دوماً إلى إلغاء أو تعطيل هذه النصوص بحجج السلام الزائف أو التطبيع معه، ففي زيارة مناحيم بيغن [رئيس وزراء صهيوني سابق] لمصر في ٢٥ أغسطس ١٩٨١ أعرب عن استيائه البالغ من استمرار الطلبة في مصر بدراسة كتب التاريخ التي تتحدث عن "اغتصاب إسرائيل لفلسطين"<sup>٨٧</sup>، وكتب التربية الإسلامية التي تحتوي على آيات من القرآن الكريم تندد باليهود وتلعنهم، وقوله الله عز وجل ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود

<sup>٨٦</sup> غلال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص ١٨١.

<sup>٨٧</sup> نقلاً عن: خلف محمد الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية التقنية للصراع العربي الصهيوني، (دمشق: من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠)، نقلاً عن: [الموقع الفلسطيني للمعلومات، [www.palestine.info](http://www.palestine.info)].

وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴿ سورة المائدة، ٧٥، وقوله تعالى ﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ سورة المائدة، ٨٢.

يقول الدكتور ساسون صوميخ أستاذ الأدب العربي بجامعة تل أبيب: "لقد ساءني جداً خلال زيارتي للجامعة عين شمس، أن أجد مكتباتها مليئة بالكتب التي ألّفها متعصبون ضد اليهود، وهذه الكتب تباع في المكتبات وأكشاك الصحف بحرية تامة"<sup>٨٨</sup>.

ولقد سعى الصهاينة إلى إنشاء مراكز للتطبيع وهويد العقل المسلم، من ذلك ما أنشئ في مصر عام ١٩٨٢ "المركز الأكاديمي الصهيوني بالقاهرة"، الذي لعب ويلعب دوراً خطيراً في مجال التمهيد للتطبيع وزرع بذور الصهيونية التدميرية، من خلال شبكة أبحاثه ورجال المحابرات الصهيونية، الذين يحتلون مواقع قيادية فيه منذ بداياته الأولى. ويجمع الباحثون في مصر على أنه يلعب دوراً رئيسياً في جمع المعلومات واصطياد العملاء والتجنّس السياسي والثقافي على مصر والعرب، ومن أهدافه رعاية البحث والدراسة في التربية والعلوم والثقافة والتكنولوجيا والآثار والفنون والتاريخ، ومساعدة الباحثين الصهاينة، الذين يحصلون على منح دراسية، والعلماء الزائرين الذين يقيمون في مصر لأغراض الدراسة والبحث، واتخاذ الترتيبات اللازمة مع السلطات المصرية ذات الشأن، لتمكين العلماء والباحثين الصهاينة، من متابعة بحوثهم في المؤسسات الأكاديمية ودور الوثائق والمكتبات والمتاحف، وعقد دورات للعلماء والباحثين الزائرين، وإتاحة الفرصة لهم لمقابلة علماء وباحثين مصريين والتعاون معهم"<sup>٨٩</sup>.

وأغلب هؤلاء الباحثين الصهاينة هم في الحقيقة جواسيس وعملاء للموساد الصهيوني، جهاز الاستخبارات الصهيوني الخارجي.

فلا بد من التنبه لهذا، مع العمل على سن تشريعات وقوانين تدعو إلى مجابهة هذه الأخطار على العقل المسلم، والتأكيد على تثبيت المناهج التربوية والتعليمية لكشف العدو الصهيوني، وبيان خطره على الأمة والعالم، لأبنائنا والأجيال الصاعدة، وأن يكون من ضمن الخطط التعبوية تدريس القضية الفلسطينية بمنظور إسلامي أصيل في المدارس والجامعات.

<sup>٨٨</sup> نقل عن: خلف محمد الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية التقنية للصراع العربي الصهيوني.  
<sup>٨٩</sup> توسع في: خلف الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية التقنية للصراع العربي الصهيوني.



وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدِ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ \* وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ \* وَكَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ \* لَوْلَا يُنَهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ \* وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ سورة المائدة، ٦٠ - ٦٤.

في المقابل، أجاد الصهاينة في تجنيد الخطاب الديني الصهيوني في تبعة صفوفهم ضد العرب والمسلمين، بل وفاقو "العرب في توظيف الدين والأيدولوجيا لخدمة أغراض سياسية وفي التلاعب بقرارات الشرعية الدولية والقانون الدولي، وتوظيف كل الأيدولوجيات لخدمة أغراضهم، ولكن الفرق بينهم وبين العرب هو أنهم يملكون القوة ووحدة الموقف، مما يجعل خطاهم الديني الأسطوري ومراوغاتهم السياسية تتحول إلى حقائق على الأرض، بل وتعرف غالبية دول العالم بأساطيرهم ومزاعمهم الدينية كمسلمات التشكيك فيها قد يؤدي إلى الإتهام بالاسامية وبالتالي إلى المتابعة القضائية"<sup>٩٠</sup>.

وفي هذا الشأن أيضاً، يدخل عدم نشر الأسماء الصهيونية وتداولها بدلاً عن الأسماء العربية والإسلامية في فلسطين، من أسماء أماكن إلى أسماء أزمئة أو مناسبات.

٤) دعم التعليم في الجامعات والكليات والمدارس، والعمل على محو الأمية والتصدي للخطط الصهيونية في إفسال مشاريع التعليم والتربية والتدريس بالجامعات والمدارس من المقاصد الأصلية في حفظ العقل.

ولقد حاول الصهاينة مراراً وتكراراً العمل على تجميع أجواء الانتفاضة والعمل الأمني المضطرب في مناطق الاحتلال إلى إغلاق الجامعات والمدارس والمراكز التعليمية بحجة المحافظة على الأمن وإعادة

<sup>٩٠</sup> إبراهيم ابراش، البعد الديني للقضية الفلسطينية بين الرؤية الصهيونية الإسرائيلية والرؤية العربية الإسلامية، نقلًا عن مجلة الرؤية، (فلسطين: السنة الثانية، العدد ١٣، تشرين أول ٢٠٠١)، انظر الموقع المجلة [www.sis.gov.ps/arabic/royal].

الهدوء والاستقرار، بيد أن هذه السياسات ما هي إلا ذريعة واهية لتطبيق سياسة منع التعليم والتعلم للشعب الفلسطيني.

ولقد حاول أيضاً بمحاصرة الشعب الفلسطيني بغزة أن يعتمد إلى أن يفاقم أزمة الكتاب المدرسي، ما زاد من المعاناة التعليمية للطلبة، بعد أن باتوا يتوجهون لمدارسهم بخقائب مدرسية فارغة، فقد أكد عبد المجيد الزطمة مدير التربية والتعليم في محافظة خان يونس أن أزمة الكتاب أصبحت تحاصر ٥٥ ألف طالب وطالبة يدرسون في ٧٦ مدرسة حكومية و ١٠ مدارس خاصة في المحافظة<sup>٩١</sup>.

وقد ذكر تقرير للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان أن أكثر من [٢,٧٠٠] طالب وطالبة حرّموا من حقهم في التعليم وأصبحوا عاجزين عن السفر للالتحاق بمؤسساتهم التعليمية، ومن بين هؤلاء نحو [٧٠٠] طالب وطالبة في مراحل التعليم المختلفة في دول عربية وأجنبية، فقدوا إقامتهم، وذلك بسبب إغلاق المعابر في قطاع غزة<sup>٩٢</sup>.

بل عمد العدو إلى منع إدخال الكتب الجديدة إلى غزة، مما اضطر الطلبة للدراسة في كتب قديمة وممزقة<sup>٩٣</sup>.

ولقد استطاع الشعب الفلسطيني العمل على محاربة هذه السياسة من خلال الإصرار والجد في التحصيل العلمي لكافة فئاته وطبقاته، بل وفي تقرير صدر عن المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة "ايسسكو" التابعة لجامعة الدول العربية ومقرها في تونس، فإن عدد الاميين في العالم العربي وصل إلى ٧٠ مليوناً ٢٠٠٤، وفي نفس التقرير إشارة إلى أن أكثر الشعوب العربية التي تقل فيها نسبة الأمية هي في الشعب الفلسطيني<sup>٩٤</sup>.

وصرح لؤي شبانة، رئيس الجهاز المركزي للإحصاء، أنه يوجد في فلسطين ١٤٥ ألف أمي راشد. وإلى أن معدلات الأمية بين البالغين في فلسطين تعد من أقل المعدلات في العالم، حيث بلغت نسبة الأمية بين الأفراد ١٥ سنة فأكثر في العام ٢٠٠٥، ٧,٢%، بواقع ٣,١% للذكور و١١,٤% للإناث، في حين بلغ معدل الأمية في الدولة العربية ٣٥,٦% في العام ٢٠٠٥، كما بلغ هذا المعدل على مستوى العالم لنفس العام حوالي ١٨,٣%<sup>٩٥</sup>.

<sup>٩١</sup> انظر: جريدة الأيام الفلسطينية، ٢٣ فبراير ٢٠٠٨.

<sup>٩٢</sup> جريدة الحياة الجديدة، ١٦ فبراير ٢٠٠٨.

<sup>٩٣</sup> جريدة القدس العربي، ٧ فبراير ٢٠٠٨.

<sup>٩٤</sup> نغلا عن: جريدة القدس العربي، بتاريخ ١٧ يناير ٢٠٠٥.

<sup>٩٥</sup> انظر: وكالة الانباء الفلسطينية وفا، ٧ سبتمبر ٢٠٠٥.

كما أظهرت إحصائية أعدتها منظمة التوصيف العالمية، أن فلسطين تتقدم على معظم الدول الإفريقية وبعض الدول العربية، من حيث عدد المصانع والمنشآت الاقتصادية الحاصلة على شهادة الجودة العالمية (آيزو)، وأن عدد المؤسسات الفلسطينية الحاصلة على شهادة (آيزو ٩٠٠٠) نسخة ١٩٩٤ بلغ أكثر من ١٠٠ مؤسسة في العام ٢٠٠٠<sup>٩٦</sup>.

كما أن العمل على تأهيل الأسرى عقلياً وفكرياً ضمن حلقات فكرية وتعليمية تسعى لإعدادهم لمشروع التحرر، يدخل في أس مقصد التعليم في ظل الاحتلال الصهيوني، ولقد فهم الأسرى هذا المقصد على أصوله، حتى أن الأسرى في سجون الاحتلال بدؤوا بالعمل التعليمي والتربوي، وذهب البعض منهم إلى استكمال دراساته العليا الجامعية وهو في السجن، وناقش أحد الأسرى رسالته الدكتوراه من السجن عبر الهاتف المحمول.

بل يعتبر سلمان أبو حرب وهو كهل فلسطيني ويقطن أحد مخيمات اللجوء شمال قطاع غزة الحصول على شهادة الدكتوراه في التربية من معهد الدراسات والبحوث العربية التابع للجامعة الدول العربية في القاهرة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، وذلك رغم بلوغه سن الثمانين، في خطوة هي الأولى من نوعها في المناطق الفلسطينية<sup>٩٧</sup>.

ولقد ضرب المبعدون في مرج الزهور عام ١٩٩٤ مثلاً رائعاً عندما قاموا بتأسيس جامعة ابن تيمية، وذلك لعلمهم بدناء العدو ومكره، وهذا ما يشير إلى أن العلم والتعليم أصبح ضرورة بحثة في مواجهة المشروع الصهيوني المتقدم تقنياً، والمدعوم من كبرى دول العالم بالتكنولوجيا.

لهذا ليس عجباً، أن يقوم العدو بتتبع سياسات وحملات تهدف إلى الحد من المستوى التعليمي عند أبناء الشعب الفلسطيني، بحجج واهية وكاذبة، فمنذ اندلاع انتفاضة الأقصى في ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٠ وحتى ٣١ أكتوبر ٢٠٠٤، أكد تقريرٌ صادرٌ عن مركز المعلومات الوطني الفلسطيني في الهيئة العامة للاستعلامات إلى أن إجمالي المدارس والجامعات التي أغلقت تصل إلى ١٢ بأوامر عسكرية، و ١١٢٥ مدرسة ومؤسسة تعليم عالي تعطلت جراء العدوان الصهيوني، كما بلغ عدد مؤسسات التربية والتعليم التي تعرّضت للقفص، ٣١٦ مدرسة ومديرية ومكاتب تربية وتعليم وجامعة، و ٤٣ مدرسة حوّلت إلى ثكنات عسكرية<sup>٩٨</sup>.

<sup>٩٦</sup> انظر: جريدة الأيام الفلسطينية، ١ يناير ٢٠٠٦.

<sup>٩٧</sup> انظر: جريدة القدس العربي، ١٨ فبراير ٢٠٠٨.

<sup>٩٨</sup> انظر: الموقع الفلسطيني للمعلومات، تاريخ ١٢ ديسمبر ٢٠٠٤.

ولم يقف أمر الصهاينة على أرض فلسطين، بل هناك محاولات عديدة من قبلهم لتصدير الأمية والجهل إلى الواقع العربي برمته<sup>٩٩</sup>.

وفي المقابل، يسعى العدو إلى جلب العقول المفكرة والمبدعة من الصهاينة إلى أرض فلسطين، فعلى سبيل المثال تم جلب أكثر من (٥٦) ألف مهندس سوفييتي إلى الكيان الصهيوني خلال عقد التسعينات من القرن الماضي، وأن إحصائيات عام ١٩٩٩، تشير إلى وجود (١٣٥) مهندساً بين كل عشرة آلاف موظف في الكيان الصهيوني<sup>١٠٠</sup>.

كما أن العدو الصهيوني يسعى إلى توفير كافة السبل لأبنائه في تحصيل العلوم والمعارف الحديثة، فإذا كان نصيب الفرد العربي من التعليم سنوياً يصل متوسطه إلى [٣٤٠] دولاراً، فإن نصيب الفرد الصهيوني يصل إلى [٢،٥٠٠] دولاراً<sup>١٠١</sup>.

ولعل هذا ما عبّر عنه "بيريز" في كتابه "الشرق الأوسط الجديد" بأن "القوة في العقود القادمة في الجامعات، وليس في الثكنات"<sup>١٠٢</sup>.

ويسهم العدو الصهيوني في جعل العملية التربوية أو التعليمية نصب في خدمة مشروعه الاستعماري، فالتربية الدينية والقومية لأبنائه تؤكد هذا بوضوح، ففي حين وقع نحو ٢٥٠ يهودياً من طلاب المدارس الثانوية في أنحاء مختلفة من الدولة العبرية، على عريضة يعلنون فيها أنهم لا ينوون تأدية الخدمة العسكرية في الجيش الصهيوني، بسبب معارضتهم لاحتلال الأراضي الفلسطينية والقمع ضد الفلسطينيين والعنصرية في الجيش، أعرب رئيس الدولة موشيه قصاب عن ثقته بأن يستفيق هؤلاء الشباب مع مضي الزمان من غفلتهم وتصورهم الخاطيء. واعتبر أن عيوباً ما قد تخللت تربية الجيل الناشئ، مشيراً إلى أن هذه المسألة قيد التفاوض، وأنه يمكن تصحيح هذه العيوب، دون أن يشير إلى طبيعتها<sup>١٠٣</sup>. أي أصبح رفض قتل المسلمين أو انتهاك أراضيهم ومقدساتهم هو عيب في النظرة التعليمية الصهيونية.

<sup>٩٩</sup> انظر توسع: مجموعة من الباحثين، الأبعاد التربوية للصراع العربي الصهيوني، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٨٦)، ص١٠٥.

<sup>١٠٠</sup> انظر: مجلة القدس، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، العدد ٧٥، مارس ٢٠٠٥)، ص٩٣.

<sup>١٠١</sup> نقل عن: مجلة القدس، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، العدد ٤٨، ديسمبر ٢٠٠٢)، ص٩٨.

<sup>١٠٢</sup> نقل عن: خلف الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية للتربية للصراع العربي الصهيوني.

<sup>١٠٣</sup> نقل عن: الموقع الفلسطيني للمعلومات، بتاريخ ١٤ مارس ٢٠٠٥.

وهنا يجب على القائمين على المشروع الإسلامي تشجيع المواهب وتنمية العقول بصورة تعكس أهمية العقل المبدع في مشروع التحرير، وهذا لا يتم إلا من خلال مدارس وحاضنات للفكر الإبداعي والابتكاري للصغار.

ولقد كانت للإبداعات العقلية التي استخدمها أهل فلسطين في إحباط العمليات العدوانية الصهيونية، من ذلك إحباط عملية هدم البيوت من خلال إحاطة المسلمين بالبيت المقرر هدمه، مما يجعل العدو الصهيوني يتراجع عن قراره خشية التعريض به إعلامياً.

من ذلك أيضاً، إحراج العدو الصهيوني إعلامياً من خلال المظاهرات السلمية للنساء الفلسطينيات التي جرت في بيت حانون بغزة [ أكتوبر ٢٠٠٦ ] لفك الحصار عن المجاهدين، فنجحت الخطة، ونجا المجاهدون، وكشف هؤلاء النسوة مدى الوحشية التي يمتاز بها العدو في استهداف المدنيين والعزل.

سياسة التجهيل هذه لم تنحصر في الفلسطينيين في عام ١٩٦٧، بل شملت أيضاً القطاع التعليمي في مناطق الـ٤٨، إذ أظهر تقرير حول سياسة تعيين المعلمين في جهاز التعليم العربي في الأراضي العربية المحتلة عام ٤٨، أن هناك فائض كبير بسبب النقص الحاد في الوظائف والحصص التدريسية، يتراوح ما بين ٧ - ١٢ ألف معلم عربي، ويعزو الخبراء ذلك بالأساس إلى عدم المساواة في توزيع الوظائف وبناء الغرف الدراسية، حيث لا يزال معدل الطلاب العرب في الصف الواحد ولدى المعلم الواحد، أعلى بكثير من المعدل الموازي في جهاز التعليم اليهودي. وحسب تقديرات الخبراء وباحثين أكاديميين منذ العام ١٩٨٥، فإن هناك حاجة خمسة آلاف وظيفة في جهاز التعليم العربي لسد النقص المتراكم<sup>١٤</sup>.

٥) العمل على إبراز قدرة العقل المسلم في التأسيس لصناعات حربية وقاتلية وتقنية ضد العدو الصهيوني، لأن المعركة طويلة، وبحاجة إلى هذه الصناعات، وأن لا يكون العقل المسلم دائماً في محل المتلقي لصادرات الغير، ولعل هذا المقصد قد تحقق في بعض الأعمال المعتمدة، ولو كانت محدودة، لكن أثره كان نافعاً للمسلمين، من ذلك تصنيع الصواريخ وقذائف الهاون وبعض الأدوات القتالية، والمهرة في إعداد العبوات الناسفة، لاستخدامها ضد العدو المحتل، واقتحاماته للمدن والقرى.

<sup>١٤</sup> جريدة الدستور، ٥ يناير ٢٠٠٨.

ولقد أدرك العدو الصهيوني هذا المقصد الأصلي، فسعى دائماً إلى ضرب أي قوة عسكرية مسلمة، قد تتكون وتصبح خطراً عليه، ابتداءً من ضرب المفاعل العراقي ١٩٨١، وانتهاءً بضرب أي قوة عربية صاعدة<sup>١٠٥</sup>.

هذا المقصد أصلي في فكرنا الشرعي والسياسي، سيما ونحن نرى أن الصادرات الحربية والعسكرية الصهيونية ما مجموعه ١٠% من مجمل تجارة الأسلحة في العالم، وبلغ حجم الصادرات العسكرية الصهيونية في العام ٢٠٠٤ حوالي ٣,٦ مليار دولار<sup>١٠٦</sup>.

وقد ترع الكيان الصهيوني على موقع متقدم في قائمة دول العالم المصدرة للأسلحة وجاءت في عام ٢٠٠٥، في المرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا<sup>١٠٧</sup>.

ويفيد تقرير مركز مكافحة انتشار الأسلحة النووية التابع لسلح الجو الأمريكي أن الصهانية يملكون أكثر من ٤٠٠ قنبلة نووية؛ بينها قنابل هيدروجينية، وأن حجم الترسنة النووية الصهيونية يبلغ ضعف حجم التقديرات الاستخباراتية الشائعة التي كانت تتحدث عن مئتي قنبلة نووية صهيونية، ويتحدث التقرير عن أنه كان لدى الصهانية عام ١٩٦٧م خمس عشرة قنبلة نووية، وأنها امتلكت عام ١٩٨٠م نحو مئتي قنبلة، ولكن الصهانية تمكنوا من تجميع أكثر من ٤٠٠ قنبلة نووية حتى عام ١٩٩٧م، غير أن أهمية التقرير تتمثل حقيقة في توصيف نوعية هذه القنابل، كما أنه في عام ١٩٧٣م امتلكت الدولة اليهودية عشرين صاروخاً نووياً<sup>١٠٨</sup>.

فالمصادر الصهيونية تشير على سبيل المثال إلى أن الجيش الهندي يُعتبر من أكبر جيوش العالم المستوردة للأسلحة المنتجة صهيونياً، حيث وقعت في العام ٢٠٠٤ عقود جديدة مع وزارة الدفاع الهندية وصلت قيمتها إلى حوالي ١,٧ مليار دولار.

إضافةً، إلى حجم المساعدات الأمريكية العسكرية للكيان الصهيوني سنة ٢٠٠٥، التي وصلت إلى ٢,٢ مليار دولار، وهذا ما يتأكد في ميزانية الجيش الصهيوني السنوية التي تصل قيمتها إلى ٨ مليار دولار<sup>١٠٩</sup>.

<sup>١٠٥</sup> انظر سياسات العدو الصهيوني في هذا: عمونيل فالد، الهيار نظرية الأمن الإسرائيلية، ترجمة: أحمد العجومي، (عمان: دار الخليل للنشر، ط١، ١٩٩٢)، ص٧.

<sup>١٠٦</sup> جريدة القدس العربي، بتاريخ ١٩ فبراير ٢٠٠٥، فارد مع: مجموعة من الساحين، العرب ومواجهة إسرائيل، ٤٨٦/١.

<sup>١٠٧</sup> جريدة الحياة، ١٨ سبتمبر ٢٠٠٥.

<sup>١٠٨</sup> نقلًا عن: عز الدين المفلح، الترسنة العسكرية الإسرائيلية خطر يهدد المنطقة العربية والعالم، مجلة البيان، (السنة السابعة عشرة، العدد ١٨٥، مارس ٢٠٠٣)، انظر موقع المجلة [www.albayan-magazine.com].

<sup>١٠٩</sup> نقلًا عن: الموقع الفلسطيني للمعلومات، بتاريخ ١٤ مارس ٢٠٠٥.

وقد أرجع اللواء حسام سويلم، بعض أسباب التفوق الصهيوني في مجال الصناعات الحربية إلى نوعية العنصر البشري، الذي اعتمد عليه الصهاينة في مسيرتهم الأمنية والحربية، فقد ضمت المجلات للعدو مجموعات مهنية حرفية، ووفقاً للإحصائيات، استقبل الصهاينة حتى عام ١٩٨٥ مليونين و[٤٠٠] ألف مهاجر، كان عدد المهندسين منهم، [٢٥،٨٧٨] مهندساً، هذا إضافة إلى المتخصصين الآخرين<sup>١١٠</sup>.

وقد أنشأ الصهاينة معهداً جديداً للإلكترونيات والتكنولوجيا الحيوية في بداية عقد التسعينيات، ليستقطب أكثر من [١٠٠] ألف يهودي مهاجر، أغلبهم من دول الاتحاد السوفيتي، منهم [٤٢] ألف من المهنيين من ذوي التخصصات العليا، إضافة إلى [١٢٠٠] من العلماء المتخصصين في العلوم الأساسية والتطبيقية، لذا، وصلت الصادرات الإلكترونية عام ١٩٩٩ إلى حوالي [٦] مليار دولار، في حين كانت هذه الصادرات عام ١٩٨٦ حوالي مليار دولار فقط<sup>١١١</sup>.

وفي قراءة أخرى، وطبقاً لمعلومات "عوزي غدور"، مدير قسم خدمات الاستيعاب في "وزارة الاستيعاب"، فإنه منذ بداية الهجرة الواسعة (سنة ١٩٨٩) إلى نهاية عام ١٩٩١، كان في الكيان الصهيوني بين المهاجرين الجدد: ١٠ آلاف عالم، ٨٧ ألف مهندس، ٤٥ ألف هندسي وتقني، ٣٨ ألف معلم، ٢١ ألف طبيب، ١٨ ألف من رجال الفن، ٢٠ ألف أكاديمي في العلوم الاجتماعية. وبحسب البروفسور "يرمياهو برنوبر"، من جامعة تل أبيب ورئيس قسم الأبحاث الصهيونية، في مجال الطاقة، فإن ٢٠% من المهاجرين الجدد هم من حملة الشهادات العلمية في مجالات الهندسة والفيزياء والكيمياء والتكنولوجيا، وفي إمكان طاقة كهذه أن تحول العدو الصهيوني إلى ما يشبه اليابان من الناحية التكنولوجية<sup>١١٢</sup>.

ويتوفر للعدو الصهيوني حوالي ٢٠٠٠ (ألفي) عالم وخبير ومهندس وفني في المجالات النووية المختلفة، وهم على اتصال بحوالي ٦٠٠ معهد علمي ومركز للبحوث النووية في حوالي ثمانين دول<sup>١١٣</sup>.

<sup>١١٠</sup> انظر: حسام سويلم، صادرات الصناعات الحربية الإسرائيلية، مجلة القدس، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، العدد ٧١، نوفمبر ٢٠٠٤)، ص ٩٨.

<sup>١١١</sup> نقل عن: مجلة القدس، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، العدد ٤٨، ديسمبر ٢٠٠٢)، ص ٩٦، قارن مع: مجموعة من الباحثين، العرب ومواجهة إسرائيل، احتمالات المستقبل، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٠)، ٤٠٤/١.

<sup>١١٢</sup> نقل عن: خلف الخراد، الأبعاد الفكرية والعلمية التقنية للصراع العربي الصهيوني، [الفصل الثالث: الأمن القومي العربي والحدي العلمي التقني].

<sup>١١٣</sup> تصرف شديد: خلف الخراد، الأبعاد الفكرية، [الفصل الرابع: الخيار النووي، وبناء قاعدة عربية للبحث العلمي والتكنولوجيا].

في حين أن سياسة الدول العربية تؤدي إلى تهجير الكفاءات العقلية العربية إلى خارج الدول العربية، ضمن سياسة تهجير العقول أو نزيف الأدمغة " Brain Drain"، لكي يقفوا في أطماع الدول الصاعدة، ليسهموا في نهضتها، تاركين التخلف والقصور في عالمنا العربي، فمصر وحدها، خسرت منذ عقد الستينيات من القرن الماضي [٤٥٠] ألف كفاءة علمية، برز منهم [٦٠٠] عالم في تخصصات نادرة<sup>١١٤</sup>.

فقد أصبحت ظاهرة هجرة العقول العربية الى الخارج خاصة الولايات المتحدة وكندا وبعض الدول الأوروبية تشكل هاجساً مخيفاً للحكومات والمنظمات على حد سواء، وقدرت التقارير أن تلك الهجرة التي تكاد لا تتوقف تتسبب في خسائر مالية تتجاوز ٢٠٠ مليار دولار.

بل يمكن القول إن هذه الظاهرة قد زادت في العقد الأخير، إذ أظهرت دراسة للجامعة العربية أن ٧٠ ألفاً من مجموع ٣٠٠ ألف متخرج من الجامعات العربية يهاجرون من بلدانهم سنوياً، في حين أن خسائر الدول العربية من هذه الهجرة تبلغ بحسب بعض التقديرات ١,٥٧ بليون دولار سنوياً<sup>١١٥</sup>.

حيث يقدر الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء المصريين المتميزين من العقول والكفاءات التي هاجرت للخارج بـ ٨٢٤ ألفاً وفقاً لآخر احصاء صدر في عام ٢٠٠٣ من بينهم نحو ٢٥٠٠ عالم، وتشير الاحصاءات إلى أن مصر قدمت نحو ٦٠% من العلماء العرب والمهندسين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأن مساهمة كل من العراق ولبنان بلغت ١٠% بينما كان نصيب كل من سوريا والأردن وفلسطين نحو ٥%.

وتشير احصاءات جامعة الدول العربية ومنظمة العمل العربية إلى أن الوطن العربي يساهم بـ ٣١ من هجرة الكفاءات من الدول النامية، وأن ٥٠% من الأطباء، ٢٣% من المهندسين، ١٥% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون متوجهين الى أوروبا والولايات المتحدة وكندا بوجه خاص، وأن ٥٤% من الطلاب العرب الذين يدرسون بالخارج لا يعودون الى بلدانهم، ويشكل الأطباء العرب في بريطانيا حوالي ٣٤% من مجموع الاطباء العاملين فيها، وأن ثلاث دول غربية غنية هي اميركا وكندا وبريطانيا تصيد نحو ٧٥% من المهاجرين العرب<sup>١١٦</sup>.

<sup>١١٤</sup> مجلة القدس، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، العدد ٤٨، ديسمبر ٢٠٠٢)، ص ٩٩.

<sup>١١٥</sup> انظر: جريدة الحياة، ٢٣ فبراير ٢٠٠٨.

<sup>١١٦</sup> نقلاً عن موقع بلاغ كوم، ١٤ مايو ٢٠٠٥، انظر الموقع على شبكة المعلومات، [www.balagh.com].

وفي هذا الشأن، حق لنا أن نتدب حظنا على مانري، فالأمة الإسلامية التي كانت طليعة النهوض العلمي في العالم، أصبحت اليوم تبعاً لفلول المستعمرين والمستوطنين، وحق أن يقول الشاعر<sup>١١٧</sup>:

يا لقوم بالأمس كانوا فلولاً      فغدوا أمةً ونحن الفلول

وفي هذا الشأن أيضاً، يجب على المسلمين العمل على الاستفادة من الطاقة ومصادرهما قدر الإمكان، والتقليل من الاعتماد على الطاقة التقليدية، فالعدو الصهيوني يسعى للاعتماد على السيارات التي تسير بالكهرباء لتقليل صادراته البترولية، بحيث يقيم شبكة تضم ٥٠٠ ألف محطة شحن لبطاريات السيارات الكهربائية في المستقبل<sup>١١٨</sup>.

٦) العمل على تأسيس المراكز البحثية ومؤسسات الدراسات المتخصصة في معرفة العدو، وخططه واستراتيجياته في المنطقة، ونشر الدراسات والأبحاث المتعلقة بذلك على المراقبين والمتابعين لهذا الصراع، وترشيد التخصصات العلمية والاستراتيجية في درك خطط العدو، ودوره في إضعاف المنطقة العربية والإسلامية.

إن العدو الصهيوني ينفق على مراكز الأبحاث والبحث العلمي أكثر من عشرة أضعاف ما ينفقه العرب على البحث العلمي، وهناك اتفاقية ما بين العدو الصهيوني والولايات المتحدة، تلزم العلماء الأمريكيين بالعمل أربعة أشهر في العام في مراكز البحث الصهيوني، لتدريب الباحثين في الكيان، فالولايات المتحدة تمول وحدها أكثر من ٢٠% من ميزانية البحث العلمي في الكيان الصهيوني، وأن أكثر من ٤٠% من العدد الكلي للبحوث، التي أجريت في الكيان، والتي نشرت في الخارج كانت مموّلة من جانب الولايات المتحدة والدول الأوروبية<sup>١١٩</sup>.

لهذا ليس متسغرباً أن نقرأ أن مقارنة عدد البحوث والدراسات المنشورة في العلوم الطبيعية في ثلاثة عشر قطراً عربياً (الأردن، تونس، الجزائر، ليبيا، السعودية، السودان، سورية، العراق، الكويت، لبنان، مصر، المغرب، اليمن)، و "العدو الصهيوني" من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٨٣، يتبين أن مجموع ما أنتجه الباحثون العرب في مجال العلوم الطبيعية ٢٦١٦ بحثاً في تلك الفترة، في حين أن إجمالي ما أنتجه الصهاينة في المجال نفسه ٤٦٦١ بحثاً، وإذا أردنا أن نحمل مؤشرات تفوق الكيان

<sup>١١٧</sup> نقلًا عن: مجموعة من الباحثين، الأبعاد التربوية للصراع العربي الصهيوني، ص ١٨٥.

<sup>١١٨</sup> انظر: موقع بي بي سي، ٢١ يناير ٢٠٠٨.

<sup>١١٩</sup> مجلة القدس، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، العدد ٤٨، ديسمبر ٢٠٠٢)، ص ٩٩، أيضاً حلف الخراد، الأبعاد الفكرية والعلمية التقنيّة للصراع العربي الصهيوني، [الفصل الرابع: الخيار النووي، وبناء قاعدة عربيّة للبحث العلمي والتكنولوجيا].

الصهيوني على العرب، نسبة إلى عدد السكان، فسنجد أنه يتفوق بمعدل عشر مرات في الأفراد العلميين، وأكثر من ثلاثين مرة في الإنفاق والبحث والتطوير، وأكثر من خمسين مرة في وصلات الإنترنت، وأكثر من سبعين مرة في النشر العلمي، وقرابة ألف مرة في براءات الاختراع<sup>١٢٠</sup>. ففي الكيان الصهيوني هناك مؤسسات حكومية قائمة أصلاً على تفعيل القطاع البحثي والعلمي<sup>١٢١</sup>، وهناك نحو ١٨٠٠ شركة أبحاث وتطوير، وعلى الأقل ٣٠ عاملاً من أصل كل ألف عامل في الكيان يعملون في قطاع البحث والتطوير، وحوالي ٢٠,٣% من إجمالي الناتج المحلي المدني تذهب إلى مجال الأبحاث والتطوير. حيث توجه ٦٠% من هذه الأموال إلى فرع الإلكترونيات كمعلومات الاتصال، والإلكترونيات الطبية، وأجهزة الدفاع، وبرامج الكمبيوتر، وأصبحت الإلكترونيات تحتل المرتبة الأولى في القطاع الصناعي الصهيوني، فبلغت صادراته عام ١٩٩٥ ٤,٣ مليار دولار، وتجاوزت عام ١٩٩٦ ستة مليارات دولار. علماً أن أكثر من ٤٠ ألف شخص يعملون اليوم في هذا المجال ثلثهم من خريجي الجامعات، ونحو ٦٠% منهم من المهندسين والتقنيين أصحاب الخبرة العالية، ويبلغ حجم الإنفاق على البحث العلمي في الكيان الصهيوني ما يزيد عن ٢٠ مليار شيكل<sup>١٢٢</sup>.

ولأهمية ذلك عند الصهاينة، نرى أن عدد الباحثين في الكيان الصهيوني يتجاوز ١٣٥ باحثاً لكل عشرة آلاف نسمة، فيما تبلغ النسبة في الولايات المتحدة ٨٥ باحثاً للعدد نفسه من السكان، مما يدل بشكل واضح على مدى الأهمية التي توليها الحكومة (الإسرائيلية) للبحث العلمي والصناعي والتقني، الذي يبلغ مردوده حوالي ٩٠ مليار دولار سنوياً<sup>١٢٣</sup>.

فالعدو الصهيوني يعقد مؤتمراً سنوياً استراتيجياً يسمى بمؤتمر هرتزليا، [غالباً ما يُعقد في ديسمبر من كل عام] لبحث الخطط الاستراتيجية في صراعه مع العرب والمسلمين في المنظور القريب والبعيد، ويسوق خططه وبرامجه بناءً على توصيات الخبراء الأمنيين والاستراتيجيين.

<sup>١٢٠</sup> بنصرف شديد: خلف الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية الثقيلة للصراع العربي الصهيوني، [الفصل الثالث: الأمن القومي العربي والتحديات العلمية التي].

<sup>١٢١</sup> انظر بتوسع مجموعة من الباحثين، الأبعاد التربوية للصراع العربي الصهيوني، ص ٣٢٠.

<sup>١٢٢</sup> انظر: خلف الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية، [الفصل الرابع: الخيار النووي، وبناء قاعدة عربية للبحث العلمي والتكنولوجيا].

<sup>١٢٣</sup> بنصرف شديد: خلف الجراد، الأبعاد الفكرية، [الفصل الرابع: الخيار النووي، وبناء قاعدة عربية للبحث العلمي والتكنولوجيا].

ويندرج ضمن هذا المقصد، حفظ أمن المعلومات بكافة أطيافها، الأمنية والسياسية والاستراتيجية الموجهة ضد العدو، وتقصد بأمن المعلومات في هذا الصراع: "منظومة ثقافية ووعيا وثقة وانتماء تشكل أرضية مناسبة، تزرع فيها سياسات تأمين فعالة ومتوازنة، تخدمها تقنيات يتم اختيارها بذلك"<sup>١٢٤</sup>، لأن أمن المعلومات هو المؤدي الحتمي لـ "حرب المعلومات"<sup>١٢٥</sup>.

كما يسعى العدو الصهيوني لتخصيص مراكز أبحاث ودراسات عن عالمنا العربي والإسلامي، وعن التغيرات الاجتماعية والسياسية التي قد تصيبه، فهناك مراكز بحوث علمية وجامعات ومعاهد وهيئات أكاديمية مثل: "المركز اليهودي العربي في جامعة حيفا"، و"معهد العلاقات الإنسانية" في جامعة حيفا، و"معهد الدراسات العربية" في جامعة حيفا، و"قسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في الجامعة العربية"، و"مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب"، باسم جافي يافيه فيما بعد، و"المركز الدولي للسلام في الشرق الأوسط"، و"المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة"، وغيرها من المراكز والمؤسسات البحثية المعروفة<sup>١٢٦</sup>.

وفي هذا المسار، يسعى العدو للاستفادة من المؤسسات العلمية والبحثية الغربية المزروعة في بلادنا العربية والإسلامية، في تحصيل أكبر قدر من المعلومات عن واقعنا ومستقبلنا، والعمل على "تطويع أدمغة" مئات الباحثين في مجالات البحوث الاجتماعية والدينية والثقافية والتنمية.

كما يلزم المسلمون والقائمون على مشروع التحرير توجيه الطلبة المسلمين نحو تحصيل العلمي والأكاديمي ضمن خطة استراتيجية تلي حاجات الصراع وتسد الثغرات، وتوهل المجتمع المسلم في فلسطين نحو النهضة العلمية والإكتفاء الذاتي.

٧) من المقاصد الأصلية التي تبتق عن مقصد العقل، تحريم كل ما يؤدي إلى نشر الرذائل والفواحش لا سيما المشروبات المسكرة، في أماكن اللهو كالحانات والأندية الليلية وغيرها، فهذا كله يقع ضمن دائرة الحرمة الشرعية، فضلاً عن إعاقته لمشروع التحرير وإزالة المحتل، ولعل من طموحات العدو نشر هذه الرذائل والفواحش التي تشغل المسلمين عن مشروعهم التحرري.

<sup>١٢٤</sup> نقلاً عن: جمال غيطاس، أمن المعلومات بين إسرائيل وواقع المجتمعات العربية، مجلة القدس، (القاهرة: المركز العربي للإعلام، العدد ٥٦، أغسطس ٢٠٠٢)، ص ٢٥.

<sup>١٢٥</sup> مجموعة من الباحثين، العرب ومواجهة إسرائيل، احتمالات المستقبل، ٥٥٨/١.

<sup>١٢٦</sup> نقلاً عن: خلف الجراد، الأبعاد الفكرية، انظر: [الفصل الثاني: مراكز الأبحاث والمؤسسات العاملة في خدمة التطيح].

وفي هذا الصدد، يجدر التنبيه على النشاط المشبوه للعدو الصهيوني في نشر المخدرات والأفيون في أوساط الشعب الفلسطيني في مناطق الـ ٦٧، أو مناطق الـ ٤٨، أو في دعم عصابات المافيا وتجار المخدرات في نشرها في المنطقة العربية أو الإسلامية، وهناك العديد من الوثائق التي تدّين هذه العصابات أو مجموعات التجار وعلاقتهم المشبوهة مع الاحتلال.

كما يلزمنا التنبيه أيضاً على سياسات المحتل في دعم نشر المشروبات المحرمة وأماكن اللهو الماجنة في أوساط الشعب الفلسطيني أو المنطقة العربية، ولقد نجحت الانتفاضة المباركة في ضرب أوكار هذه الأماكن المحرمة وإغلاقها، وجعل البديل الإسلامي لها قائماً، كنوادي الرياضة والترفيه الثقافي والفكري.

ولعل هذه الظاهرة محدودة جداً في الشعب الفلسطيني، بفضل الصحوة الإسلامية، والعادات والأعراف العربية التي تدعو إلى محاربة كل ظاهرة تفسد المجتمع.

أما في الجانب المقابل، فإن الشعب الصهيوني من أكثر الشعوب تعاطياً للمخدرات والمسكرات، فقد كشفت معطيات سلطة مكافحة المخدرات في الكيان الصهيوني أن ٣١ % من طلبة الجامعات العربية يتعاطون المخدرات، أي طالب من كل ثلاثة طلاب صهاينة يتعاطي المخدرات، وأن أكثر من ٢٥ % من متعاطي المخدرات بمختلف أنواعها في الكيان الصهيوني هم من الشباب<sup>١٢٧</sup>.

فهذه الظاهرة أفسدت الكثير من أبنائه وفتاته، وأنه فتح خلال عام ٢٠٠٣ أكثر من ٣٢٥٠ ملفاً جنائياً ضدّ تلاميذ المدارس، بتهمة تعاطي المخدرات، وذكرت أنّ هذه النسبة مرشحة للزيادة بنسبة ١٠ % كل عام<sup>١٢٨</sup>.

٨) من المقاصد الأصيلة في حفظ ضروري العقل العمل على الاعتزاز بالهوية الإسلامية " Islamic Identity" والعمل على أسلمة "Islamization" المناهج والأدوات والمصطلحات المتعلقة بالصراع، والاعتزاز باللغة العربية، والابتعاد عن تقليد أعداء الأمة، في حياتهم وعاداتهم، أو اتخاذ مناهجهم الفكرية أو الدينية كطريق لنا.

والأصل الشرعي أن غير المسلمين لن يرضوا عن المسلمين في عقائدهم أو أفكارهم، يقول الله عز وجل ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى،

<sup>١٢٧</sup> نقل عن: الموقع الفلسطيني للمعلومات، تاريخ ٤ مايو ٢٠٠٥.

<sup>١٢٨</sup> انظر: الموقع الفلسطيني للمعلومات، تاريخ ٥ يناير ٢٠٠٥.

ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم، مالك من الله من ولي ولا نصير ﴿﴾، سورة البقرة، ١٢٠.

وهناك عشرات الأحاديث التي تبلغ مرتبة القطع اليقيني "الدلالي" و "المعنوي" في أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام قد تعدوا مخالفة اليهود، بدءاً من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام وصيام يوم عاشوراء أو صوم يوم السبت، انتهاءً إلى مخالفتهم في صبغ الشعر والأحذية، وأن قوله "خالفوا اليهود"، قد تكرر كثيراً في نصوصه<sup>١٢٩</sup>.

وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ في بيان وجوب مخالفة أهل الكفر والضلال، وأن اليهود من أبرز من يجب مخالفتهم، يقول في ذلك: "أن الأمر بموافقة قوم أو بمخالفتهم، قد يكون لأن نفس قصد موافقتهم أو نفس موافقتهم مصلحة، وكذلك نفس قصد مخالفتهم، .. بمعنى أن ذلك الفعل يتضمن مصلحة للعبد أو مفسدة"<sup>١٣٠</sup>.

وهنا، يدخل مشاركة الصهاينة في احتفالاتهم وأعيادهم وأحزابهم، فهم أهل حرب، وقد اغتصبوا ديار مسلمين، ومن ضمن هذا الاعتراف بهم كدولة ذات سيادة، وإعطاؤهم أي حق شرعي في فلسطين، ومن ثم مشاركتهم في الاحتفال بمناسبة الوطنية، كعيد الاستقلال أو إقامة دولتهم المعتدية على دار الإسلام. وفي هذا الشأن أيضاً، يجب على أبناء فلسطين تحري نشر اللغة العربية، والاعتزاز بها كقيمة حضارية للمسلمين، ولأن "اعتیاد اللغة يؤثر في العقل والدين والأخلاق، تعلم اللغة العربية واجب لفهم الدين"<sup>١٣١</sup>، وهذا لا يمنع من تعلم اللغة العبرية لبعض المهتمين بفهم العدو وخططه وفكره الاستراتيجي، وأبعاد حربه على الإسلام.

وقد وفق الله علماء الشريعة قديماً في التصدي لمحاولات اليهود في تطويع العقل المسلم، عندما نثروا ما يسمى بـ "الإسرائيليات"، وهي مرويات اليهود في أخبار من سبق في بعض التفاسير والروايات، حيث جعلوا أن هذه الروايات لا تسمن ولا تغني من جوع، سيما وأنها من مصدر غير موثوق به، لا سيما وأن "في هذه الإسرائيليات مما هو كذب على الأنبياء، أو ما هو منسوخ في شريعتنا ما لا يعلمه إلا الله"<sup>١٣٢</sup>.

<sup>١٢٩</sup> انظر: النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، باب النهي عن التشبه بالشیطان والكفار، رقم الباب (٢٩٣)، ص ٣٧٣.

<sup>١٣٠</sup> ابن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم، ص ١٣.

<sup>١٣١</sup> ابن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم، ص ٢٠٧.

<sup>١٣٢</sup> ابن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم، ص ٤٣٨.

وقد وُفق أطفال فلسطين في حمل أسماء مدتهم وقادتهم وشهادتهم، ويرى ذوو الاختصاص أن انتشار هذه الظاهرة في الأراضي الفلسطينية يرجع بالأساس إلى تأثر والدي المولود أو أحدهما بالأحداث المعاشة، وبالتالي يترجم هذا التأثير باختيار اسم يدل على حادثة أو مكان أو شخص مميز يرتبط بحالة وطنية. ويؤكد المحتصون أنفسهم أنه عندما يصل الطفل إلى مرحلة إدراك الأشياء يبدأ بالتفكير في اسمه، وماذا يعنيه وغالباً ما يأخذ هذه الانطباعات من محيطون به، ويصبح الموضوع بذلك دائم الحيوية ويؤثر في شخصيته بطريقة ما<sup>١٣٣</sup>.

وفي المقابل، ترى أن الصهاينة يسعون إلى تعزيز الانتماء إلى دولتهم المزعوم بين عموم اليهود في العالم، فرييس الحكومة، إيهود أولمرت، شرع في إعداد مخطط يهدف إلى استعادة شعور يهود العالم بالانتماء "إسرائيل"، بمشاركة كافة الأطر الناشطة بين أبناء الديانة اليهودية في أوطانهم المختلفة في العالم إضافة إلى الوكالة اليهودية، بهدف ترسيخ انتمائهم إليها<sup>١٣٤</sup>.

في ظل تنامي معلومات تفيد أن عدد "الصهاينة" الذين تنازلوا عما يسمى بـ"الجنسية الإسرائيلية" خلال ٢٠٠٧ ارتفع بنسبة ١٢% مقارنة مع العام ٢٠٠٦، فهناك [٨٦٧] صهيونياً قدموا طلبات للتنازل عن جنسيتهم خلال العام ٢٠٠٧. وأغلبهم يسكن في الدول الغربية لا سيما في ألمانيا<sup>١٣٥</sup>.

٩) من المقاصد الأصيلة في دعم ضروري العقل في هذا الصراع، الاهتمام بالجمال الإعلامي والدعائي والتسويقي للمشروع الإسلامي التحرري، بدرجة تصل لتكشف زيغ المحتلين ومخططاتهم وتسوق لمشروع المقاومة وتؤكد على أحقية المسلمين بهذه الأرض وشرعية حقوقهم، ومخاطبة الرأي العالمي بالفكر الإسلامي وقدرته على مواكبة التغيرات.

وقد ذكر جيمس كاري الأستاذ بجامعة الينوي أن: "وسائل الإعلام الموجودة في المجتمع تؤثر تأثيراً قوياً في أشكال التنظيم الاجتماعي الممكنة.. وهكذا تؤثر وسائل الإعلام في أنواع التجمعات الإنسانية التي يمكن أن تنشأ في أي حقبة"<sup>١٣٦</sup>.

<sup>١٣٣</sup> انظر: جريدة الغد الأردنية، ٦ فبراير ٢٠٠٨.

<sup>١٣٤</sup> انظر: جريدة الغد الأردنية، ٢٣ فبراير ٢٠٠٨.

<sup>١٣٥</sup> جريدة الخليج الإماراتية، ٤ يناير ٢٠٠٨.

<sup>١٣٦</sup> عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٩)، ص ٧، قارن مع:

Richard D. *An Introduction to Communication*, (USA: Simultaneously Published: ١٩٩٨, Third edition), p. ٢٣-٤٠.

ولقد وصار الاحتكار الإعلامي سمة الأقوياء في عصرنا الحاضر، فلا فائدة في تحصيل سر الصنعة " Know How " منهم، ولقد نجح الصهاينة إعلامياً لدرجة مكنتهم من السيطرة على الأبواق الإعلامية العالمية، يكفي أن مساحة المواد الإعلامية للولايات المتحدة الأمريكية تحت سيطرة الصهاينة التي تصل إلى ٩٠% من الضخ الإعلامي العام على مستوى العالم كله، وزاد الأمر سوءاً سيطرة المؤسسات والهيئات والإذاعات التي يسيطر عليها اللوبي الصهيوني على أغلب مظاهر الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي يوجد فيها ٦٧٠٠ محطة إذاعة تجارية، وأكثر من ٧٠٠ محطة تلفزيونية، و١٥٠٠ صحيفة ودورية يومية، إضافة إلى محطة حكومية واحدة هي صوت أمريكا Voice of America التي تخضع هي الأخرى لتوجهات اللوبي الإسرائيلي<sup>١٣٧</sup>.

وهذا ما يحتم علينا ضرورة الاهتمام بالمجال الإعلامي، والتحضير لصراع إعلامي يتناسب مع طبيعة هذا الصراع وتشعباته، لا سيما وأن الآلة الإعلامية الصهيونية غالباً ما تصف المقاومة بالإرهاب الفلسطيني " Palestinian territory " .

<sup>١٣٧</sup> عمي الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامي بين العوالم والمعطيات العصرية، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٩٩٨)، ص١٢٣.

المخطط التالي يبين أهم المقاصد الأصلية التي يجب مراعاتها في عملية الحفاظ على مقصد العقل في شؤون القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني.

